



ترجمة منير السعيداني
تصميم استاذنا الحاج



المجلد الثاني / العدد الثاني / تشرين الثاني ٢٠١١

GDN

حوار كوني

في محاورة الإسلاموفوبيا

كاترين دولاكروا

الشعبوية الإسلامية الجديدة

فيدي ر. هاديز

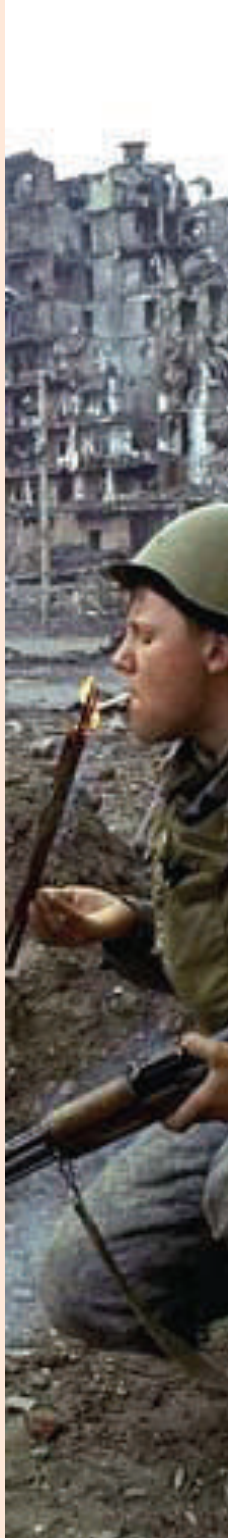
من ندين؟ أوقات عاصفة في مفاوضات التغير المناخي

هربرت دوسينا

مطارحات: علم الاجتماع في عالم غير متساو

بيوتر ستومبكا
تينا ييس
نيكيتا بوكروفسكي
فيرناندا بيجيال
هيلغا نووتني

- ما هي الإمكانيات المتاحة أمام العمل الكوني؟
- اكتشاف الذات: مجتمع مدني متجذر في إسرائيل
- حقوق الإنسان: عندما لا تعني نهاية الحرب حلول السلام
- البيان الختامي للجمعية الأميركية اللاتينية لعلم الاجتماع،
- علم اجتماع الأزمنة المضطربة
- محررو الجمعية الدولية لعلم الاجتماع: وداعا ديفوراه، أهلا محمد



• في هذا العدد

• الافتتاحية

• الإسلام:

في محاورة الإسلاموفوبيا: الخروج، والتصويت وإظهار الولاء، بقلم كاترين دولاكروا (فرنسا)
الشعبوية الإسلامية الجديدة، بقلم فيدي ر. هاديز، أستراليا

• الاحتجاج الاجتماعي:

من ندين؟ أوقات عاصفة في مفاوضات التغير المناخي، بقلم هيرت دوسينا، الفلبين.
ما هي الإمكانيات المتاحة أمام العمل الكوني؟ بقلم روبرت لومبارت، أستراليا
اكتشاف الذات: مجتمع مدني متجذر في إسرائيل، ديورا كاليكين-فيشمان، إسرائيل.

• مطارحات: علم الاجتماع في عالم غير متساو:

عشر أطروحات حول وضع علم الاجتماع في عالم غير متساو، بقلم بيوتر ستومبكا، بولونيا
التميز والائتزان: إنتاج علم اجتماع ذي أهمية، بقلم تينا بيس، جنوب أفريقيا
المرضى الذي يرفض الاستشفاء أو "دفاعا عن علم الاجتماع"، بقلم نيكيتا بوكروفسكي، روسيا.
التبعية الأكاديمية، بقلم فيرناندا بيجال، الأرجنتين.
إنتاج علم الاجتماع في عالم اليوم غير المتساوي، بقلم هيلغا نووتني، المجر

• أركان خاصة:

حقوق الإنسان: عندما لا تعني نهاية الحرب حلول السلام، بقلم أليس شيبانيكوفا، ألمانيا.
البيان الختامي للجمعية الأمريكية اللاتينية لعلم الاجتماع، راكل سوزا إيليزاغا، المكسيك.
علم اجتماع الأزمة المضطربة: رسالة موجهة إلى الجمعية الأوروبية لعلم الاجتماع، آناليا توريس، البرتغال
محرورو الجمعية الدولية لعلم الاجتماع: وداعا ديفورا، أهلا محمد، حوار من إنجاز جينيفر بلات، أنغلترا.

• هيئة التحرير

رئيس التحرير: مايكل بوروواي،

مديرا التحرير: لولا بوسوتيل، أوغست باغا،

محرورون مشاركون: مارغرت أبراهام، تينا إيوس، راكل سوزا، جينيفر بلات، روبرت فان كريكين،

مستشارو التحرير: إيزابلا بارلنسكا، لويس شوفال، ديلك سيندوغلو، توم دويبر، يان فريتز، ساري حنفي، جيم جيمينيز، حبيب الخندكر، سيمون ماباديمغ، إيشوار مودي، نيكيتا بوكروفسكي، إيما بوريو، يوشيميشي ساتو، فينيتا سنهنا، بنيامين تيجيرينا، شين شون يي، إيلينا زدرافوميسلوف،

محرورون إقليميون:

العالم العربي: ساري حنفي، منير السعيداني،

البرازيل: غوستافو تانيغيتي، جوليانا تونشي، بيدرو مانسيني، فابيو سيلفا تسونودا، ديمتري سيرونسيني فرنانديز، أندريزا غاللي، ريناتا باريو بريتورلان،

الهند: إيشوار مودي، راجيف غوبتا، راشمي حاين، أودي سينغ، اليابان: كازوهيسا نيشيهارا، ماري شيبا، يوشيا شيوتاني، كوسوكي هيمينو، توموهيرو تاكامي، ناناكو هايامي، ياكاتا إيودات، كاسوهيرو إيكيدا، يو فوكودا،

إسبانيا: خيسيل ريدوندو،

تاوان: جينغ ماو هو،

إيران: ريحانة جافادي، ساغار بوزورغي، شاهراد شافهاند، فايزة إسماعيلي، جلال كاريمان، نجمة طاهري،

روسيا: إيلينا زدرافوميسلوف، إيلينا نيكوفوروف، آسيا فورونكوفا،

مستشارو الإعلام: أني لين، خوزي ريغويرا.

• الافتتاحية

بقلم مايكل بوروواي

واحدة من المهام الجلية التي تواجه علم الاجتماع مكافحة الأفكار المعلبة الشعبية والتشوهات السياسية وليس أهوتها تلك التي تُحدّد للإسلام مكانته في عالم اليوم. وعليه فإن كاترين دولاكروا (Catherine Delcroix) تحلل في هذا العدد من حور كوني الكيفية التي يرد بها المسلمون في أوروبا على الإسلاموفوبيا فيما يفحص فيدي هاديز (Vedi Hadiz) كيفية تجنيد الشعبوية الإسلامية المسلمين في أندونيسا ومصر حول إيديولوجيات السوق مقتفية خطى حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا راهنا.

ويبين هيرت دوسينا (Herbert Docena) كيف تتشابه الأسواق والأخلاق في سياق مفاوضات التغير المناخي فيما يُنكر الشمال مسؤوليته عن قرون من الانبعاثات (الحرارية) ويفرض الجنوب تحمّل التضحيات لمجابهة شروط لم يصنعها. يُفترض في السوق هاهنا أن تتدخل بوصفها حكما محايدا في حين يتجلى بوضوح في حالات أخرى دورها في إحداث آثار مُدمّرة. ويكتب روب لامبارت (Rob Lambert) حول الإمكانيات المتاحة في مناضة الليبرالية الجديدة عبر التضامن العمالي العالمي الذي يتخذ من الجنوب الكوني قاعدة له فيما تصف ديفورا كاليكين احتجاجات الصائفة المنصرمة ضد خطط التقشف في إسرائيل.

كانت أصولية السوق في المركز أيضا من رسالتين رئيسيتين ننشرهما هنا وكانت قد وُجّهتا إلى اجتماعات شهر سبتمبر التي عقدتها جمعيتا أوروبا وأمريكا اللاتينية لعلم الاجتماع. وتعتبر الرسالتان مساهمتين في تطارح وضع علم الاجتماع في عالم غير متساو وهو موضوع المؤتمر الدولي لعلم الاجتماع في يوكوهاما تماما مثلما جلبت، من وُجّهة أخرى، أطروحات بيوتر ستومبكا (Piotr Sztompka) أربع إجابات متباينة. ليست المجادلة جديدة ولكنها تتقوى تحت أثر الوعي المتنامي بمظاهر اللاتساوي الكونية.

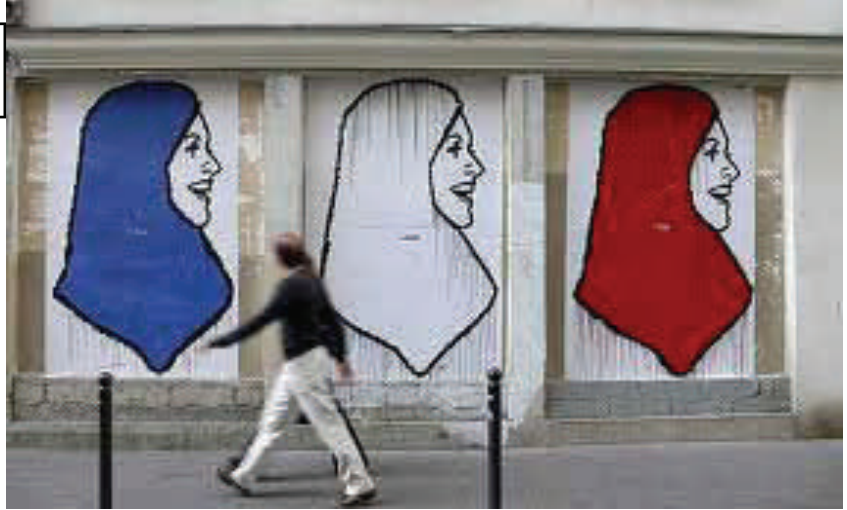
يصف عمودنا الذي خصّصناه لحقوق الإنسان فضاعات "السلم الروسية" المفروضة على الشيشان فيما يؤدي عمود التاريخ دينه تجاه ديورواه كاليكين رئيسة تحرير *International Sociology Review of Books* التي افتتحت نشرها سنة 2006.

أودّ في النهاية أن أرحب بفريق علماء الاجتماع الفرصيين الذين سيخرجون حور كوني بالبولونية، لغتنا الثانية عشرة، وبفريق بوغوتا الذي سيتكفل بالترجمة إلى الإسبانية

• في محاورة الإسلاموفوبيا: الخروج، والتصويت وإظهار الولاء

بقلم كاترين دولاكروا (Catherine DELACROIX)، جامعة ستراسبورغ، فرنسا

Street art showing Muslim women, both wearing the burqa and committed French citizens.



كيف يرد المسلمون الأوروبيون (الفرنسيون) الفعل في مواجهة العنصرية السائدة والإسلاموفوبيا؟ ما من أحد يعرف الإجابة الحقيقية، ووحدها سلسلة من الدراسات الميدانية يمكنها أن تأتينا بجواب تقريبي. تكفلت خلال العشرين سنة الأخيرة بالقيام بدراسات معمقة تناولت حالات عائلات مُسلمة مهاجرة تعيش في فرنسا مُركزةً بالخصوص على الكيفية التي بها تُنشئُ العائلات العمالية أصيلة المغرب (الكبير) أبناءها بحيث يُواجهون التمييز. استخدمتُ مقارنةً منهجيةً ارتكزت على إعادة بناء تَاريخ العائلات استَمدَدَتْها من جَوَّارات سَيرِيَّةٍ خُصَّتْها مع كل عائلة: الآباء كما الأبناء. وكَرَّرتُ القيام بدراسات الحالة هذه في العديد من المناطق والمدن الفرنسية المختلفة.

ما من أحد إلى حدّ اليوم قَدَّمَ إطاراً يمكن من توفير تعداد مفصّل لردود أفعال ضحايا التمييز ضد ما يتعرضون له بحيث يشمل ذلك اليهود الأوروبيين في مواجهتهم لمعاداة السامية خلال السنوات 1920 ومسلمي الفترة المعاصرة في آنٍ، ولبلوغ ذلك طَوَّعْتُ تَمَدَّجَةَ ألبرت هيرشمان (Albert Hirschman) الشهيرة: "الخروج" (exit) و " الاحتجاج" (voice) و "إظهار الولاء"

بل هو أهم حتى من الديمقراطية والحقيقة أن الإسلاموفوبيا قديمة جدًّا. كانت صورة سلبية مسبقة الصنع قد استُعْمِلت خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر بغاية حرمان المُحتَلِّين (المُسْتَعْمَرِينَ) من حقوقهم الخاصة والمدنية: فَيَحَسَّبُ أمر كريميو (Crémieux) لسنة 1870 كان بإمكان هؤلاء أن يصبحوا مواطنين فرنسيين وأن يكتسبوا حقوق المواطنة إذا ما تجرّدوا من إيمانهم بالإسلام وهو ما لم يأت، بالتأكيد، إلا قليلون. وما لم يفعلوا ذلك كانوا يفقدون حقوقهم وحرياتهم وهو ما كان يُسَعِدُ المحتلّين (المستعمرين).

غيّرت حروب التحرير من قواعد اللعبة في شمال أفريقيا وفي غيرها من المناطق. ومثلهم مثل الباكستانيين والبنغاليين والهنود في بريطانيا، أو الاندونيسيين والمغاربة والأتراك في هولندا وبلجيكا، كان يُنظر إلى الجزائريين والمغاربة والتونسيين على أنهم قوّة عمل (وقتيّة) أولاً، "عمالاً ضيوفاً" مثلما كانوا يُلقَّبون في البلدان المجاورة. لاحقاً، أسند لهم الحق في جلب نساءهم وأبنائهم ولكن التّعد الطبقّي، وإن اصطبغ الآن بلون إثني (يجعل المعنى مرادفاً لذي "البشرة الملون") كان لا يزال ماثلاً. واليوم يطالب أبنائهم وأبناء أبنائهم بمُواطَنَةٍ أوروبية كاملة وإن كان عليهم أن يناضلوا ضد الوَصْمَة التي أُلصِقَتْ "بدينهم" و"بأصلهم".

تشهد الإسلاموفوبيا تصاعداً في أوروبا منذ زمن. كنْتُ منذ مدة وجيزة في بروكسال مُشارِكَةً في ورشة علمية اشترك فيها علماء اجتماع أتوا من بلدان أوروبية مختلفة يعملون كلهم أو يقطنون في أوروبا. صرّح عضو مرموق في البرلمان الأوروبي، كان قد شارك في صياغة الدستور الأوروبي: "ليس بمقدورنا نحن الأوروبيين أن نقبل بالإسلام هذا الدين //عنيف الذي يضع هويتنا الأوروبية، وهي مسيحية، موضع سؤال. على المهاجرين المسلمين كما على أبنائهم أن يتخلوا عن أنساقهم القِيَمِيَّة ومعتقداتهم الدينية إذا ما رغبوا في المكوث في أوروبا وحياة الاعتراف بهم بوصفهم أوروبيين". صُدِّمنا أغلبنّا. سألته زميلة لنا جاءت من نفس موطنه: "أَوْتَعَقِدُ أن موقفك منسجم مع احترام حقوق الأقليات، تلك الحقوق الحاسمة بالنسبة إلى الديمقراطية؟" أجابها الرجل: "الحفاظ على //نظام //الأوروبي هو //الأولوية الأهم. أنه أكثر أهمية من احترام حقوق الأقليات

والمساواة والأخوة" رفضا للمجتمع الفرنسي كما يعتقد الكثيرون. إنه النقيض بالضبط، إذ يعني أن ضحية التمييز لا تزال تؤمن بقدره المجتمع على إصلاح ذاته. من بين الأجوبة الثلاثة الرئيسة على العنصرية، يُعتبر "التصويت" ذلك الذي يمكن من المرور من الرد الفردي إلى الرد الجماعي، ومن المسار الخاص إلى المدى المحلي والجهوي وحتى الوطني. ولكن هذه الطريق ليست سهلة ذلك أن النظام الاجتماعي يداوم المكافحة من أجل العودة إلى الوراء، وليس باعتماد القمع دائما. إنه أكثر ذكاء من ذلك فأغلب أكثر أسلحته استخداما خطابية أي تلك السبل الذكية في لِيَه عنق الوقائع ونوايا خصومه. فلتتخذ مثالا الحجاب الإسلامي. لماذا قررت الفتيات والفرنسيات الشابات المولودات لوالدين مسلمين أن ترتدين الحجاب؟ أكان ذلك نتيجة لضغوط الأصوليين؟ عندما استجوب علماء الاجتماع فتيات الثانويات المرتديات للحجاب اكتشفوا أن الأمر على غير ذلك على الإطلاق. أغلب هؤلاء الفتيات أعلن أنهن قررن ارتداء الحجاب من تلقاء أنفسهن، وفي الكثير من الحالات، على الضد مما تمتاز أولياتهن. لم يصدّقهن أحد في البداية واعتقد الجميع أنهن كنّ يكذبن. ولكن اتضح في الآخر أنهن كنّ في الواقع يقلن الحقيقة. كما قلن أن ذلك لا يعني أنهن يشعرن أنهن أقل فرنسية من الأخريات على الإطلاق.

التأويل الأكثر توفيقا لظاهرة الحجاب هو ذاك الذي قدّمته حورية بوثلجة من خلال إبراز *الوضعية المتناقضة* التي تعيشها المرأة الفرنسية المسلمة من الجيل الثاني. فمن جهة ثمة الأثر الثقيل الذي ينتج عن العنصرية ضد العرب، والإسلاموفوبيا المتنامية والتمييز في سوق العمل. ولكن الضغط المسلط على إختونهن أكبر مما هو مسلط على هؤلاء النسوة الشابات اللاتي أرسل لهنّ المجتمع "الأبيض" الرسالة التالية: "غادرن الأمكنة التي نشأتن فيها، تملّصن من سطوة آبائكن وإختوتكن وأتركوهن خلفكن". استدرن إلى ماضيكنّ ثانيةً وإتينّ لتلتحقن بالمجتمع الفرنسي المفتوح".

سألوني عمّا كنت أحسن عمله. كان ذلك ممتعا *لغاية*. كنت أرغب بشدة في أن يحدث لي ذلك: أن أكون مثل أي واحد آخر، فرنسيا. حاولت ذلك بكل ما أوتيت من قوة، بذلت قصارى جهدي ولكن الناس كانوا ينتهون دائما إلى ذات السؤال عن "أصولي" أو عن "ديانتي". الهرب من العنصرية عن طريق الهجرة حلّ جيد إذا، وعليه، يهاجر أشباه هذا الشاب الفرنسي إلى أستراليا وبلدان الخليج العربي. ولكن ليست هذه الإمكانيات متاحة للجميع وعلى ذلك يوجد آخرون أقل حظا في التمكن من "الخروج". من المعلوم أن بمقدور العنصرية أن تُلجّق الصّر بالذات وبالتمثّل الذاتيّ و بالتّقدير الذاتيّ وخاصة لدى الأفراد الأكثر عزلة من غيرهم والأقل قدرة على مغالبة الأوضاع. يلجأ البعض منهم إلى المخدرات أو يبلغ بهم الأمر حد الانتحار، وتلك هي أشكال أخرى من "الخروج".

الاحتجاج

على التّقيض من ذلك، يتّخذ "الخروج" الوجهة المعاكسة. هو احتجاج على النظام الاجتماعي غير العادل الذي يُمارس التمييز ضد المرأة، ويمكن لرفع العقيرة بالتّصويت ذاك أن يكون فرديا أو جماعيا. يطالب "التصويت" بالاعتراف، وهو معركة من أجل حيّازته. "أصغ إليّ أيّها المجتمع. أنا واحد من أعضائك. اعترف بي بوصفي ذاك. واعترف كذلك بالحقوق والحريات. ارتقِ إلى مستوى ما نُعلّنه من مُثُلِكَ".

ثمّة في فرنسا العديد من أمثلة "تصويت" المجموعات ضحيّة التمييز، بعضُها شكلي ومُنظّم وبعضها الآخر غير شكلي وسريع الزوال مثل انتفاضات الضواحي في نوفمبر 2005، التي انطلقت شرارتها على أثر اغتيال شاب كان يحاول الهرب من الشرطة. وعلى عكس "الخروج"، لا يعني الاحتجاج على عنف الشرطة ولا مطالبة فرنسا بأن ترتقي إلى مستوى مُثُلِها في "الحرية

(loyalty). كان عالم الاقتصاد هيرشمان يعاين مِرْوَحَة ردود الفعل الفردية التي يأتيها أناس في مواجهة بيروقراطية (دولة) لا وظيفية مثل احتكار الدولة لخطّ حديديّ سيّئ الإدارة، وحاجج بأن كل ردود الأفعال إزاء هذه الوضعية تندرج في واحدة من الأصناف الثلاثة: الخروج أو التصويت أو إظهار الولاء. يمكن لمستخدمي الخط الحديدي أن يحافظوا على قبولهم بالكلفة المرتفعة للسفر بالقطار (إظهار الولاء) أو أن يرفعوا أصواتهم مُتَشَكِّين (احتجاج) أو أن يديروا ظهورهم للخط الحديدي فيستقلّوا السيارة.

يبدو الآن أن هذه النمذجة صالحة للاستخدام إذا ما طُبِّقت على ردود أفعال الناس في مواجهة العنصرية: يمكنهم هم أيضا الاحتجاج وهو ما قام به إلى حد ما اليهود خلال السنوات 1930 وبعضا من المسلمين اليوم، كما يمكنهم أن يطلّوا سلبيين آملين في هدوء العاصفة مثلما فعل العديد من اليهود المندمجين في ألمانيا أو فرنسا. ذلك هو "إظهار الولاء" وهو ما انتهى في حالتهم نهاية مأساوية، كما يمكنهم أن يغادروا البلد وذلك هو "الخروج".

الخروج

لنبدأ بالخروج. يجزّب عدد متكاثر من الشبان الذين لا يجدون عملا أولا في فرنسا حطوطهم في مونتريال. لا تزال كندا تستقبل مهاجرين جددا إذا ما كانوا من ذوي التكوين. يختبر معظمهم نفس الفكرة الملهمة التي عبّر عنها أحدهم كالتالي: "لم أتمكن من العثور على عمل في فرنسا بسبب اسمي العربي، اسم أبي الذي هاجر من المغرب. في مونتريال كَفَقْتُ على الفور عن أن أكون منظورا إلي على أنني عربي. بالنسبة إلى الكنديين كنت فرنسيا، فرنسيا فحسب. عندها

ذلك هو لب المسألة. أنا أعتقد أن لنا نحن علماء الاجتماع، بتجميعنا دراسات الحالة، وعثورنا على أمثلة حيّة من خلال سير الحياة على سبيل المثال، وسائل تغيير للحسّ المشترك الأوروبي بحيث يتمّ الكفّ عن معاملة المسلمين الأوروبيين على أنهم أكباش فداء واعتبارهم بدلا عن ذلك جزءا منا.

مراجع

- Anthias, F. (2002) "Thinking through the lens of Transnational Positionality," www.imstr.dcu.ie [4:1].
- Attias-Donfut, C. (2006) *L'enracinement. Enquête sur le vieillissement des immigrés en France*. Paris: Armand Colin.
- Boutelja, H. (2006) "On vous a tant aimé-es." Entretien réalisé par Christelle Hamel et Christine Delphy. *Nouvelles Questions Féministes* 25(1).
- Delcroix, C. (2009) "Muslim Families in France: Creative Parenting, Identity and Recognition." *Oral History* 37(2).
- Hirschman, A. (1972) *Exit, Voice and Loyalty: Responses to Decline in Firms, Organizations and States*. Cambridge: Harvard University Press.

المتقدّمين في السن من كل الأصول أن أكثر من 90 بالمائة منهم يعلنون أنهم يشعرون أنهم في موطنهم في فرنسا

بل أكثر من ذلك، فقد كنت شاهدة أنا بنفسي على العديد من الآباء المهاجرين وهم يحاولون أن يقنعوا أبناءهم بأن لا يردّوا إذا ما كانوا عرضة إلى ما يحطّ من شأنهم. كانت تلك إستراتيجية تعويد على الصبر يعلّمونها لأبنائهم حتى يضمن هؤلاء أعلى فرص النجاح. ولكن للجيل الثاني من المهاجرين تصورا للولاء أكثر انتقالية: هم يؤمنون بقيم الجمهورية الفرنسية ويعرّفون أنفسهم على أنهم مواطنون أوروبيون، ويعود شعورهم بالانتماء هذا على الأغلب إلى وجود أفراد من عائلاتهم في بلدان أوروبية أخرى. إنه يؤمنون بالديمقراطية الأوروبية وبحماية حقوق الأقليات.

أن تنتمي أو لا تنتمي، ذلك هو السؤال ولكن الجواب عليه مزدوج. الإسلاموفوبيا مناقضة للاعتراف الضروري للانتماء وللشعور بالانتماء. ولأنّ بما قالته فلويا أنتياس (Floya Anthias) حول الانتماء: "يرتبط الانتماء بتجارب شكلية وأخرى غير شكلية في آن معا. لا يتعلّق الانتماء بمجرد الانتساب والحقوق والواجبات كما هو عليه الأمر في حالة المواطنة، أو بأشكال من التماهي مع المجموعات أو مع الآخرين فحسب، ولكنه يتعلق كذلك بالأوضاع الاجتماعية المُشادّة عبر مثل هذا التماهي والانتساب وكذا بالطرق التي تؤثر بها هذه الأوضاع في استقرار الذات ويشعور الفرد بكونه جزءا من كلّ أوسع وبالروابط الانفعالية والاجتماعية مع تلك الأوضاع.

ذلك هو لب المسألة. أنا أعتقد أن لنا نحن علماء الاجتماع، بتجميعنا دراسات الحالة، وعثورنا على أمثلة حيّة من خلال سير الحياة على سبيل المثال، وسائل تغيير للحسّ المشترك

تقول حورية بوثلجة إن ذلك بمثابة الإغراء بالنسبة إلى هؤلاء الفتيات، إغراء الحرية. ذلك أن آثارا للثقافة والمعايير والموانع الأبوية لا تزال في الحقيقة موجودة لدى العديد من العائلات المهاجرة من المغرب (الكبير). ولكن ذلك قد يؤخذ على أنه خيانة للعائلة والجامعة. إنه الفخ على ما تقول حورية بوثلجة، ولكنه ذاك الفخ الذي وَجَدَن له حلّا هو الحجاب. بارتدائهن له ترسل هؤلاء النسوة الشابات "تصويتا" صامتا إلى المجتمع الفرنسي: "لا، لن نخون أوليائنا ولا جماعتنا. لقد أسأتم معاملتهم بوصفهم عمّالا مستضافين سابقا وكذا الآن بوصفهم مسلمين، ولسوف نتخذ موقعنا النهائي إلى جانبهم".

ولكن الحجاب يُرسل ، على ما تقول حورية بوثلجة، رسالة إلى رجال الجماعة التي تنتمي إليها النسوة أيضا : آبائهم وإخوتهم وأبناء أعمامهم رسالة مفادها: "ها أنتم ترون أنّنا لم نَحْكُكُمْ، أننا نساندكم وأننا رفضنا عَرَضَهُمْ. والآن دعونا من فضلكم تَسَلُّكُ طريقنا الخاصة. لن نسيء التصرف ولكننا نرغب في أن نكون حرّات في التعلّم، ونحن نخير أن نطلّ عازبات على أن ننزوّج أحدا لا نعرفه ، نريد أن نكون متهيئات لحياتنا المهنية". ليس هذا خروجا وليس هو إظهارا للولاء (تجاه المجتمع الفرنسي) كذلك، هذا تجسّد واضح لحالة "الاحتجاج" ولكنه تجسّد بَالِغ التّعقيد.

إظهار الولاء

ما الذي يعنيه إظهار الولاء؟ من العسير أن يمارس المرء الولاء تجاه مجتمع يَلْقُظُهُ لأنه يبدو مختلفا تماما. وعلى الرّغم من ذلك يسود موقف الولاء تجاه مجتمع عنصري في أوساط الجيل الأول من المهاجرين و على الرغم حتمين حرب الاستقلال الجزائرية. وبالفعل فقد أظهر بحث ميداني وطني أجرته كلودين آتياس-دونفو (Claudine Attias-Donfut) سنة 2005 في أوساط المهاجرين .



• الشعوبية الإسلامية الجديدة

بقلم فيدي ر. هادي (Vedi R. Hadiz)، جامعة مردوخ (Murdoch)، أستراليا

Recep Tayyip Erdogan, Turkey's charismatic Prime Minister, secures popular support for his amalgam of Islam and neoliberalism.



من نجاح ح ع ت الذي ربح مؤخرًا ثالث انتخابات عامة شفافة بطريقة مُفجّمة. وفضلا عن اعتناق ح ع ت الديمقراطية من المعلوم أنه تمكّن ببراعة من أن يُدمج الإصلاح الاقتصادي النيوليبرالي داخل اهتمامات الشعوبية الإسلامية بالعدالة الاجتماعية التقليدية.

لا يمكن اعتبار تجربة ح ع ت ناتجة عن أثر الاعتدال المتولد عن المشاركة في الديمقراطية الانتخابية مثلما اقترح البعض. إن ما هو أكثر أهمية من ذلك هو الانتباه إلى أن هدف تحسين أوضاع الأمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لا يتطلّب بالضرورة دولة إسلامية أو دولة محكومة بصرامة تحت ظل تطبيق الشريعة. يمكن بلوغ ذلك الهدف بإعادة مَوْقَعٍ مناسبة للأمة بمعداتها السياسية والتنظيمية في علاقة بالدولة والسوق الموجودتين.

على الرغم من تجذر المساندة التي يتلقاها ح ع ت في أوساط الفقراء الحضريين وتكوّن قيادته من عناصر أغلبها متعلمون من الطبقة الوسطى الحضرية فإن واحدا من بين أهم أسباب نجاحه مساندة ما يعرف ببرجوازية الأناضول له. تتكوّن هذه من رجال أعمال ذوي ثقافة إسلامية كانوا قد همّشوا إلى حدّ ما

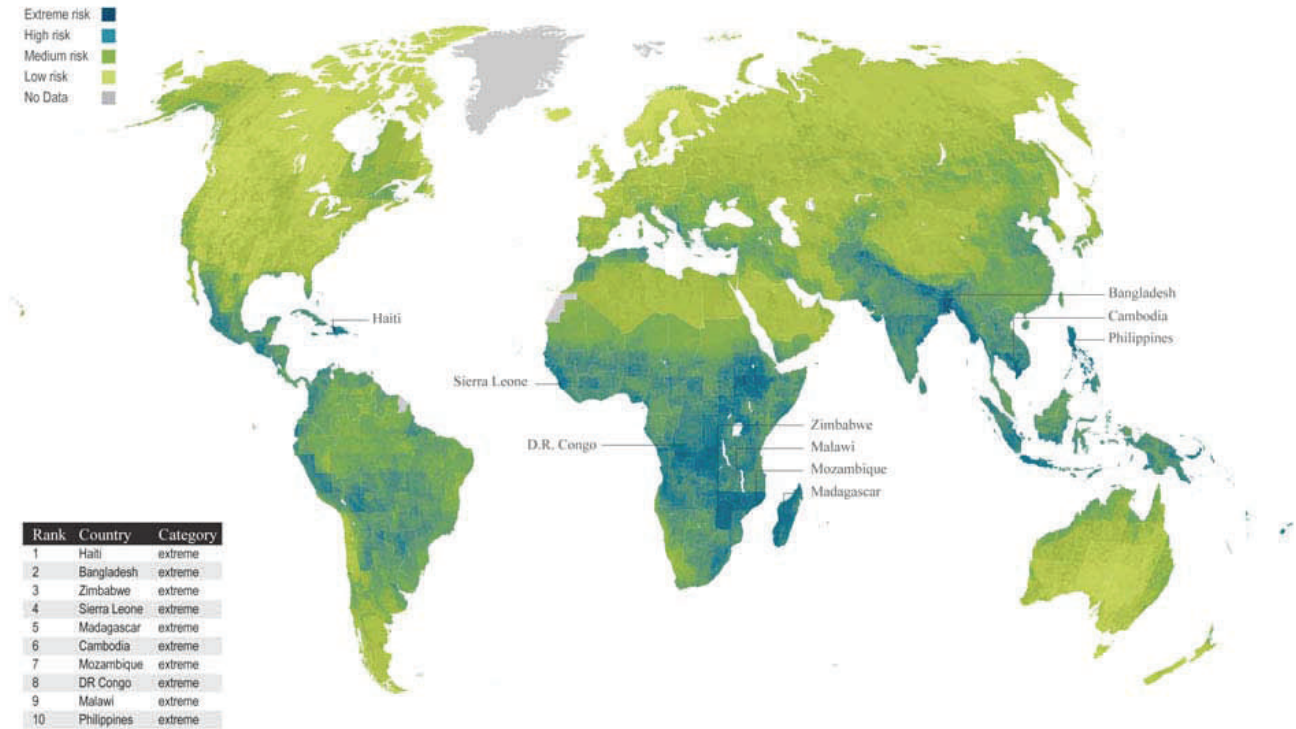
إلى التكوّن من تحالف بين عناصر شديدة التشتت: قطاعات مهمّشة من البرجوازية، عناصر متعلّمة وطموحة من الطبقة الوسطى الحضرية الجديدة التي لا تزال مركونة في الدرك الأسفل من الهرمية الاجتماعية جنبا إلى جنب مع جماهير الفقراء الحضريين المتضخمة التي نزحت خلال العشريّات الأخيرة إلى مدن متورّمة وفوضوية مثل القاهرة وإسطنبول وجاكرتا باحثة عن التعليم والنشغل ووعد بحياة أفضل. ولكن وفي كلا الحالتين تُتصوّر الأمة على أنها بديل "للشعب"، وهو المفهوم الذي يمثّل مكونا رئيسا لكل الميخيل الشعوبية التي توازي بين الجماهير ذات التقوى الأخلاقية ولكنها مهمّشة وبين النخب الجشعة ومقتنصة الفرائس. كانت آثار هذا التحول عميقة على تنظيمات مثل الإخوان المسلمين الذين لا يزالون على الرّغم من تناقضاتهم الداخلية القوة الأكثر تنظيما في المجتمع المدني المصري. والحقيقة أن امتدادات الشعوبية الجديدة كانت قد بدت بَعْدَ ذات بداهة واضحة لدى صعود حزب العدالة والتنمية التركي (ح ع ت) إلى السلطة سنة 2002 والذي يبدو أن قادة حزب الحرية والعدالة المصري، آلة الإخوان المسلمين الانتخابية الوليدة، ينظرون إليها على أنها مثال. وحتى في أقاصي جنوب شرقي آسيا استلهم حزب العدالة والرّفاة الأندونيسي (ح ع ر)، أكثر الأحزاب ذات التوجّه الإسلامي توفيقا،

يمثّل عدم تصدّر الحركات الإسلامية المعارضة للانتفاضات العربية الأخيرة واحدا من سماتها الأكثر وضوحا. من المثير للاهتمام عدم استلام المجموعات الإسلامية مقاليد القيادة على اعتبارها، ومنذ موت أغلب اليسار في المجتمعات المسلمة خلال الحرب الباردة، أهم مصادر المعارضة حضورا في وجه عدد من الأنظمة التسلّطية وخصوصا في شمال أفريقيا والشرق الأوسط. وعلى الرغم من ذلك، ففي بلدان مثل تونس ومصر، يبدو أن عربات مثل النهضة والإخوان المسلمين على التوالي ستشقى طريقها بنجاح في خضم بيئات ما بعد تسلطية. وقد أدّى ذلك إلى درجة من استشعار الخطر والمبالغات الإسلاموفوبية لدى قطاعات من الإعلام الغرب فإذا ما دقّقنا النظر إلى مستويات أكثر عمقا لاحظنا أنه كثيرا ما يطرأ تغيّر على السياسات الإسلامية بفعل ما يمكن وصفه بأنه شَعْبِيَّة إسلامية جديدة. فإذا كانت صيغة الشّعْبِيَّة الإسلامية القديمة تأسست على ما تدهور على مر السنين من مصالح برجوازية صغيرة تقليدية تتكوّن من التجّار الحضريين وصغار منتجي السلع والنخب الريفية، تبدو صيغتها الجديدة أقرب

ولكن الشعبية الإسلامية ليست⁷ دائمة الدُّو من هذه الدرجة من التوفيق. إذا كان ممثلها الرئيس في أندونيسيا هو ح ع ر فمن الواضح أنّه بعيدٌ عن أن يحتلّ موقعا يسمح له باستلام السلطة. إن هذا يحد ذاته مثير للاهتمام بسبب أن واحدا من مصادر ضعفه، مقارنة بنظيره التركي والمصري، هو غياب برجوازية كبيرة قوية ذات ثقافة إسلامية وذلك لتواصل هيمنة العنصر ذي الأصل الإثني الصيني على البرجوازية الأندونيسية. ومهما كان من أمر نجاح الشعبية الإسلامية الجديدة أو فشلها، فإن صعودها ذو آثار مهمة تتحدى القوالب الجاهزة الخاصة بأهداف السياسات الإسلامية واستراتيجياتها ووسائلها في العالم المعاصر.

الوضع في مصر هُلاميّ إلى الحدّ الذي يمنع الإيحاء بأن الإخوان المسلمين سيكونون يمثل هذا النجاح، إذ اضطروا في الحقيقة إلى أن يُهَوَّنوا إلى حدّ بعيد دورهم في ما بعد الحقبة التسلطية بحيث لا يظهرون على أنّهم اختطفوا الانتفاضة المصرية. ولكن ذلك لا يمنع القول إن الإخوان المسلمين تغيّروا عمّا كانوا عليه أيام حسن البنا والسيد قطب. بإمكانهم هم أيضا أن يعوّلوا على قاعدة مساندة قوية تأتيمهم من قطاعات شباب الطبقة الوسطى الحضرية وأقسام عريضة ولا شك من الفقراء الحضرين باعتبار الانعدام النسبي للنظام داخل صفوف القوى اليسارية والليبرالية. بل أكثر من ذلك فقد كان من بين أعمدة الإخوان المسلمين الأكثر قوة قطاع الأعمال الكبيرة والصغيرة التي كانت قبلُ تدعم مخاطراتهم شبه السرية بخوض سياسات انتخابية وبما نتج عنه نبذها من قبل نظام مبارك. وينظر الإخوان المسلمون للديمقراطية كذلك على أنها أداة كبيرة النفع للانقضاء على مراكز رفقاء مبارك في مواقع القيادة الاقتصادية

من قبل المؤسسة البيروقراطية والسياسية الكمالية العلمانية التي شجعت برجوازية إسطنبول الكبيرة. ومن المهم التذكير بأن أغلب برجوازية الأناضول ذات الأصول المرتبطة بالمقاطعات نمت ثروتها وقوتها منذ أن اتجهت تركيا خلال السنوات 1980 نحو اعتماد استراتيجية اقتصادية تركز على التصدير وعلى الاندماج في السوق المعولمة. في الحالة التركية لا يزال الدستور يمنع الدعاية لدولة إسلامية وليس بمستطاع ح ع ت أن يعرف نفسه صراحة على أنه حزب إسلامي على الرغم من تناميهِ من رَحِم مجموعات وشبكات ذات ارتكاز إسلامي كانت قد اتخذت لنفسها منذ أمد طويل توجهها إسلاميا. ولكن لم تتم البرّهنة قط على أن هذا معيق لتنمية تحالفات ما بين طبقية أثبتت نجاحها واحتفظت بتسييرها للحكومة متابعه سياسات تدعم وضع الأمة مُعَرَّقة على أنّها مناقضة للتّخب العلمانية المتّهمة بإخفاق تصرفها الاقتصادي وبممارساتها التسلطية وكذا بلامبالاتها الثقافية سواء بسواء.



Climate Change Vulnerability. Light green areas are the least vulnerable and dark blue areas the most vulnerable. Countries in the North have the greatest CO2 per capita emissions but are the least affected by climate change while countries in the South, with the least CO2 emissions, will be the most affected. Courtesy of Maplecroft.

مَنْ نُدِينُ؟ أوقات عاصفة في مفاوضات التغير المناخي بالتركيز على الجنوب الكوني

بقلم هربرت دوسينا (Herbert Docena) مانيل، جامعة كاليفورنيا، بركلي

ارتفاع مياه الفيضانات التي أطلقها الإعصار الهائل الأخير. هم ينتظرون إذ لا وجود في قرية تعدّ الآلاف إلا لِمَرْكَبِيْ إنقاذ اثنين يَمْرَآن من منزل إلى منزل. يحدث هذا أياما قليلة فحسب بعد أن كان البلد قد توقف لِيُخَيِّيْ ذكرى الإعصار الأكثر سوءا الذي تحفظه الذاكرة ويوما قبل أن يَصْرِبَ إعصار آخر شواطئها.

انقضت عقود منذ أن اتفقت الحكومات لأول مرة على الحد من الانبعاثات وهاهي العواصف تصبح أقوى فأقوى وأكثر تكرارا فيما يصير الجفاف أكثر حدة تماما مثلما تنبأ بذلك علم المناخ. واستنادا إلى تقرير نشرته في ماي الماضي الوكالة الدولية للطاقة، كانت انبعاثات الكربون في السنة الماضية هي الأعلى في التاريخ. لِمَ، و

اللوبيات وربما البعض من النجوم العالميين إلى دورين لحضور المؤتمر السابع عشر لاتفاقية الأمم المتحدة الإطارية لمعاهدة التغير المناخي (أ م م) ت م، وسيلتحق العديد منهم في جوان القادم بالاحتفال بختم العقد الثاني منذ أن تم إمضاء أ م م م ت م وتفاهات بيئية أخرى. مرّت الآن عشرون سنة على ما يوافق الكثيرون حاليا على أنّه كان المفاوضات ما بين الحكومية الأكثر تعقيدا وربما الأكثر تأثيرا في التاريخ. ولكن ما الذي تم إنجازه؟ فيما أنا أكتب، يقضي المئات في بولاكان (Bulacan) بالفلبين ليلة عاصفة أخرى على أسطح مبانيهم جائعين في انتظار النجدة بسبب

سيطير خلال شهر ديسمبر المقبل آلاف من المسؤولين والنشطاء وأصحاب اللوبيات وربما البعض من النجوم العالميين إلى دورين لحضور المؤتمر السابع عشر لاتفاقية الأمم المتحدة الإطارية لمعاهدة التغير المناخي (أ م م) ت م، وسيلتحق العديد منهم في جوان القادم بالاحتفال بختم العقد الثاني منذ أن تم إمضاء أ م م م ت م وتفاهات بيئية أخرى. مرّت الآن عشرون سنة على ما يوافق الكثيرون حاليا على أنّه كان المفاوضات ما بين الحكومية الأكثر تعقيدا وربما الأكثر تأثيرا في التاريخ. سيظهر خلال ولكن ما الذي تم إنجازه؟ شهر ديسمبر المقبل آلاف من المسؤولين والنشطاء وأصحاب أ

إلى الحدّ من اتساع صنع القرار وطالب بالمرونة و "القدرة على تحمل الدفع" في كل الأوقات عبر التّطوُّع عوضاً عن الإجراءات الإلزامية إن أمكن وبالمجازاة إن لزم الأمر. وعليه فقد بدا أن التأكيد على مقترحات من قبيل "التعهد والمراجعة" أو آليات من مثل الاتجار بالكربون غير ذات بال.

تساعد نقاط الانطلاق المتباينة هذه ذات الارتباط بتطورات تاريخية خارجية متعلقة بالتفاوت بين الشمال والجنوب وديناميكيات الرأسمالية الكونية على فهم الفضل في التوصل إلى أساس مشترك في العديد من القضايا. تبد جهود الشمال في حصر المفاوضات بين المتسببين الكبار في الانبعاثات وحسب عوضاً عن كل المائة وثلاثة وتسعين طرفاً معقولة جداً لأناس مثل أستاذ الاقتصاد في جامعة بركلي براد دولونغ (Brad DeLong) (الذي أقر في ذات المحادثة أن العديد من السان فرانسيسكوين لا يمانعون البتّة في أن يكون لهم نفس طقس لوس أنجلوس) بما أنهم يعتقدون أن على ما يقودون أن يقرروا هم وحسب. ولكن ذلك غير مقبول لدى أولئك الذين يهتمون بالكيفية التي بها توزّع العدالة، إذ ليس للمعتدين، على كل حال، الحق دائماً في تحديد خصائص العقوبة التي يفترض أن تُنزل بهم.

يمكن لمطالب إسناد الجوائز عوضاً عن العقاب أن تَرَبّ كما لو كانت معقولة في آذان أولئك الذين يَرَوْن في أنفسهم قادة كرماء ولكنها تُؤْذِي مسماع أولئك الذين يَرَوْن فيهم مجرمين مُذنبين: إذ ليس للعصاة على مل حال الحق دائماً في المطالبة بتلقي العقاب الأقل وقفاً. وعلى غرار ذلك يبدو رفض الشمال لإخضاع صندوق المناخ إلى الرقابة الديمقراطية لكل الأطراف (على اعتبار عدم جدارة الجنوب بالثقة) مبرراً لدى أولئك الذين يرون في أنفسهم قادة متطوعين ولكنه عيشي لدى أولئك الذين يرون فيهم خارقين مُدانين: ليس للمذنب أن يتملّص من دفع التّعويض بالتشكيك في نزاهة ضحاياه.

حتى في مجال الدبلوماسية المناخية الحصري لا تبدو أسئلة الإدانة والبراءة قابلة للتخطي لأن أجوبتنا عليها تحدّد مفردات علاقتنا الاجتماعية بالآخرين حتى بل وخاصة في أوضاع اللاتساوي. تَصَارَع الشمال والجنوب لعقدين حول تلك المفردات في كل خطوة: كيف للمرء أن يطلب طلباً مبرراً من الآخر؟ كيف للآخر أن يبرر ما يطلبه مني؟ ما الذي على المرء أن يفعله؟ وهكذا دواليك...

طراً تحوّل على موقف الولايات المتحدة التفاوضي على مر السنين ولكن ليس لأكثر من التصديق على ما فاض به وجدان تود سترن (Todd Stern): "نحن نعترف تمام الاعتراف بدورنا التاريخي في نثر الانبعاثات في الجو، ولكن فيما عدا ذلك أنا أُنْكَرُ قَطْعاً كل معاني الإذئاب أو الاتهام أو التعويضات" وهو ما يتفق عليه كل صنّاع القرار سواء أكانوا من الجمهوريين أو الديمقراطيين، أَوْكانوا ممن يؤمنون بأهميّة المناخ أو من المتشككين ومن أصحاب لوبيات الأعمال أو حَقّاق بيئة بيلتواي (Beltway). ومن دون أدنى خُلفٍ أعاد كل واحد حاورته من المفاوضين الأمريكيين على مسامعي نفس النغمة: لا يجب أن ندان بشيء لم نكن لننصّر أنه (ربما) يسبّب ارتفاعاً في درجة حرارة (الأرض). وحتى لا يقع المفاوضون في الخطأ أقروا بالمساهمة تبعاً "للمسؤوليات المشتركة المتباينة وللإمكانات الخاصة". ولكن هذه الجملة باتت الآن الجملة الأكثر مدعاةً للتشكيك في تاريخ المفاوضات: يسعى مفاوضو الجنوب إلى التركيز على "التنوع" العالمي تبعاً لتأكيدهم من أن ذلك يحيل على مسؤولية الشمال في حين يؤكد مفاوضو الشمال على كلمة "المشتركة"، ويجعلون، على خلاف مفاوضي الجنوب الذين يتوقفون على الغالب على "المسؤوليات المشتركة ولكن المتباينة"، منها نقطة تصاف إلى "الإمكانات الخاصة" أي أنهم يشاركون لأنهم أكثر قدرة لا لأنهم مُجبرون على ذلك. ليست هذه مجرد مبارزة دَلَالِيَّة ذلك أن وضع الإصبع على أي واحد من جانبي قضية المسؤولية وجّه أجوبة كل طرف على ثلاثة أسئلة ملموسة أعاقَت المفاوضات: من هو المسؤول؟ من عليه القيام بماذا؟ من يَدينُ بماذا؟ من خلال إصرار الجنوب على أنه هو الجانب المهضوم دفع نحو التصعيد في ما يهم صنع القرار ومال إلى تحييد إجراءات عقابية وإلزامية وطالب عملياً بتعويضات من جانب الشمال، وأكّد بالتالي على إلزامية إجراءات من قبيل الضريبة الكونية أو غرامة الانبعاث المفرط. وبإنكار الشمال للمسؤولية وتأكيد على أنه منفتح على المساهمة أكثر لأنّه، قادر على ذلك فحسب لا لكونه مجبراً على ذلك، سعى

على الرغم من الاتفاقات، يتواصل ارتفاع انبعاث الغازات التي تدان على أنها وكما أسماها الفيلسوف بيتر (Peter Singer) "طرق القتل سينغر" الغربية الجديدة؟

شَهَرَ جوان الماضي، ذهبتُ إلى بون لمعاينة مفاوضات التغيّر المناخي وصَدمني ما كان يتحاور فيه المتفاوضون: صيغة من "التعهد والمراجعة" وهو مقترح يُنْكَرُ بمقتضاه كلّ بلد وشأنه فيقرّر كيفية تصرفه. ما من أهداف ملزمة وما من وعود. في بهو آخر كانت بوليفيا تنادي بفرض ضريبة كونية تُموّل من مداخيلها جهود معالجة مآسي التغير المناخي. أصابني الدهشة إذ كنت قد خرجت لتوّي من درّس مكثّف حول تاريخ المفاوضات القريب وعرفت أن المقترحين كانا قد وُضِعَا على طاولة المفاوضات وأهْمِلَا في بداية التسعينات وهما يوضعان من جديد. كان أحد أسباب حلولي بيون هو الاطلاع على آخر مستجدات المفاوضات لأكتشف أنهم لا يزيدون على أن يُزَاوَحُوا حيث بدأوا. لِمَ تتعثر المفاوضات؟

بعد استجواب أكثر من عشرين واحداً ممّن كانوا قريبين من المفاوضات من كلّ أنحاء العالم وبعد أن نَقَبْتُ في مئات الصفحات من وثائق المفاوضات رأيتُ أن جزءاً فقط من الجواب قد يستقيم لأن الكتلتين الرئيسيتين الشمال والجنوب لم تُجيباً بَعْدَ بشكل مَرَضِي على السؤال الأكثر بساطة وربما الأكثر أساسية في المفاوضات: مَنْ نَدينُ؟ وبالفعل ففي ما وراء المحاورات المبهمة يبدو أن الأسئلة الأكثر إزعاجاً أخلاقياً هذه هي التي تفسّر هذا التقابل الدائم: منذ البدء انهمت البلدان النامية، بدءاً بأكثرها تقدماً في التصنيع وصولاً إلى أفقرها، بُلْدَانِ الشّمال بالمسؤولية في التغيّر المناخي بسبب الانبعاثات الناتجة عن تصنيعها، في حين اتحدت أكثر البلدان المتقدّمة بكل تشكيلة الأوروبيين و الأمريكيين فيها في إنكار ذلك.

ما هي الإمكانيات المتاحة أمام "العمل" (Labor) الكوني

بقلم روبرت لومبارت (Robert Lambert)، جامعة أستراليا الغربية، الرئيس السابق للجنة البحث في الحركات العمالية بالجمعية الدولية لعلم الاجتماع

Australia-Venezuela Solidarity Network,
May Day March in Caracas, 2008.



يحق لنا حتى في أكثر الأوقات ظلمة أن ننتظر شيئا من التنوير. يَقلُّ احتمال مجيء مثل هذا التنوير من النظريات والمفاهيم عن احتمال صدوره عن ضوء غير أكيد ومرتعش بل وضعيف يشعله رجل ما أو امرأة في حياتهم أو في عملهم في ظل ظروف مناوئة، فيشعُّ على امتداد الزمن الذي يكون لهما على الأرض.

حنا آرنط (Hannah Arendt)، الناس في أوقات الظلمة

لثقافة معينة وإستراتيجية معينة في حالات معينة أن تنكسر أو أن تتقوى بما يجعلها أكثر تمكينا للبعض. إذا كان تغيير الفردانية في المستوى المحلي تحديا فكيف يكون ذلك الذي يرفعه بناؤها على المستوى الكوني؟ يزعم وبستر أنه يمكن للأخير أن يتطور عبر ثلاثة أنواع من التضامن: حقوق الإنسان (الدفاع عن الضحايا) والإنتاج (الربط بين مواقع العمل) والتعديل (تطوير القانون بحيث تتم حماية الحقوق والمعايير). ينتهي اختزال بن نغاي لوصف الصين في اعتبارها "ورشة العمل العالمي" إلى أنها أثبتت أنها "كابوس كوني بالنسبة إلى الطبقة العاملة الجديدة". يسمح نظام هوكو للعمال الريفيين بأن "يعملوا في المدينة ولكن لا بالإقامة فيها"، وعلى ذلك فهم موجودون بوصفهم نصف عمال مجبرين على الترحال على طول أراضي الصين المتغيرة، وهذه "اللاوضعية" وظروف الاستغلال قاذبة لتساعد ملحوظ في المقاومة الجماعية. وأخيرا، يجب إنريكي دولا غارسيا وبستر واصفا التجربة الأمريكية اللاتينية ومحاججا بأنه يمكن لعولمة رأس المال أن تقود إلى "عولمة للعمل بوصفه حركة اجتماعية". يمكن لمثل هذه الحركة أن تتحقق من خلال هويات العمال الجديدة وذلك باستغلال ارتباطهم بسلاسل القيم وبإدماج عمال القطاع غير الشكلي في الحركة ذاك الذي يجمع بين 40 إلى 70 بالمائة من قوة العمل في أمريكا اللاتينية. وعلى اعتبار بروز احتمال ميلاد هذه الحركة يتساءل إن كانت الاتحادات النقابية ستواجه النيوليبرالية موسّعة من مجال دورها مجدّدة الرؤى اليوتوبية للمجتمع؟

على اعتبار ما نعيشه من أزمات (المناخ، المال، العمل،...)، تأثير تدخلات إدوارد وبستر (Edward Webster) وبن نغاي (Pun Ngai) وإنريكي دولا غارسيا (Enrique de la Garza) في حوار كوني (العدد الخامس من السلسلة الأولى، جويلية 2011) حول "العمل" (Labor) الكوني" التفكير في منحنى نقدي: أيا مَنّا المجتمع أن يصمد في وجه القوة المتناسقة لكونية التكتلات والمال والمؤسسات والدول-الأمم يفرض بدلا منطقيا يَنبُتُ أمام كارثة إنسانية وشيكة؟ أيا مَنّا بإمكان العمل الكوني أن يضطلع بدور في تنشيط المجتمعات على اتّساع الكرة الأرضية بحيث تنبني علاقة جديدة مع الطبيعة ويعاد بناء هندسة المالية وتعُدّل بصفة جذرية التكتلات الكونية والتجارة والاستثمار، ويعاد تأسيس العمل الآمن ويستقر المجتمع على أساس اجتماعي عادل؟ أيا مَنّا بمقدور هذه الحركة أن تقارع عبث النيوليبرالية التي من خلالها ينظر إلى سبب هذه الأزمات المدمّرة على أنها الحل؟ يبدو تخيل مثل هذا الاحتمال غير ذي معنى باعتبار جبروت هذه المؤسسات. تلقي كل مساهمة الضوء على ما تعتبره مناسبة لمثل هذا المأزق. في رسمه للبحث عن عمل يستغرق كل الحياة في جنوب أفريقيا، يولي وبستر اهتمامه لفكرة التضامن أي الطرق التي يمكن بها

تهدف إلى بلورة رؤية جديدة لما يستهدفه النضال ولا فقط لما كان ذلك النضال يقوم ضده. تخوض م ج ع ح ن نقاشات لا تزال في طورها الأول حول المميزات الملموسة لبدل عن النيوليبرالية يستند إلى تحديد احتياجات التغيير على الأمداء القريبة والمتوسطة والبعيدة. تتمثل نقطة الخلاف في كون هذا الصراع جديداً على اعتبار تطلّب معركة التحرّر الكوني سياسات تحررية على كل المستويات. يُستمدّ جوهر هذه السياسات من نظرية ماركس (Marx) في التراكم والاستغلال مضافاً إليها تحليلات كارل بولاني (Polanyi) للأسواق والمجتمع والسلعة. في ظل العمل الكوني يطرّو الجنوب سياسات جديدة وهو ما يمكن أن يُلهم قوى في الشمال على اعتبار حدّة الأزمة الحالية. ترسم الحركة النضالية والسياسات الجديدة طريقاً للمؤسسات نحو نوع جديد من الحركة.

نحو حركة كونية جديدة (فكرة تضامن جديدة)

يبدو تصور ديفيد هارفي (David Harvey) لنوع جديد من الحركة الاجتماعية الكونية الجديدة تتكون من تحالفات واسعة بين غير المرتبطين والمستلبين والمحرومين والمعدمين مشروعاً أخداً. خلال مؤتمر للاتحاد الكوني (UNI) شهر جوان 2011، أبدى أحد قادة الكونفدرالية العامة للشغل (ك ع ش (CGT)) أسفه لكون الحركة العمالية أخفقت في ربط الصلة بحركة شباب "المستكرين" الإسبان (indignados) والجانقين اليونان (aganaktismenoi) أو شباب الربيع العربي بحيث تظهر أن معاركهم مترابطة وأن ربيع النضال من أجل الديمقراطية يحتاج إلى توسيعه وتطويره إلى نضال شامل ضد التنمية الرأسمالية النيوليبرالية. هاهنا تكمن الفرص المتاحة أمام حركة جديدة. ولكن ومع أن حركة العمل الكونية قد خاطت بعض الروابط فإنها أخفقت في اقتناص اللحظة وبناء مثل هذه الحركة. والحقيقة أن حركة العمل الكونية المؤسسة مندمجة إلى حد كبير مع حركة خلق لوبيات نزل النجوم الخمس على اتساع الكرة الأرضية بحيث لم تُظهر رغبة في تجنيد الشارع وتنظيمه. ما من حركة كونية جماعية منسقة إذا وعلى الجنوب أن يبعثها.

حركة كونية جماعية

تحتاج سياسات خلق لوبيات النخب إلى ما يرسم لها طريقاً نحو فعل جذري طويل الأمد يقتلع البنية اللوجستية للاقتصاد الكوني عَنَيْتُ النقل البحري والنقل عامة تماماً مثل اقتلاع شبكات الإنتاج الكوني المندمجة فيه. نظمت م ج ع ح ن طوال السنوات 1990 حملات مقاطعة للبواخر بالغة النجاح، وفي كوريا كان قائد عمالي يدخل السجن ويغادره طوال العشرية الأخيرة لممارسته ضغوطاً عبر تعطيله لحركة شحن الحاويات وهو ما أنتج فوضى مرورية عارمة. لقد أظهرت هذه القطاعات عبر تنظيمها لتحركات جماعية القوة الكامنة في طيات العمل الكوني. أَلْتَأَ ما يكفي من الخيال ومن الإرادة السياسية للمساهمة بوصفنا مثقفين عموميين ملتزمين في بناء حركة جديدة في هذه الدوائر؟ لعلماء الاجتماع العموميين دور في ما يدور حالياً من رحى معركة الأفكار وتعزيز السياسات الجديدة والحركة والفعل بحيث يتعزّز الأمل في قوة الحركة. يمكن لهذه المغامرة أن تصل إلى مداها كما يمكن لها ألا تصل ولكن سيكون هناك في منتهى هذا العُرض من اختار الشارع لا الفندق وسيكونون بفعلهم هذا قد منحوا تنويراً للقرن الواحد والعشرين ذاك الذي كانت تحيل عليه حنا آرنت في تأملاتها حول أوقات القرن العشرين المظلمة.

على أن هذه الأفكار تظل أفكاراً مجرّدة في ظل انعدام تحليل ما تمّ من تطوّر للعمل الكوني المبني على تقدير للمؤسسة والسياسات والحركة والفعل. لا يزيد ردّي هذا عن وضع الأسئلة من أجل حوار ضمن هذا المجال، حوار يتجاوز الأكاديمية بوصفه خطوة صغيرة في اتجاه ما أسماه وبستر بالتضامانات.

المؤسسة

نحتاج هاهنا إلى التمييز بين الأممية العمالية القائمة والأممية العمالية الجديدة (أ ع ج) على اعتبار إنجاب الأولى بيروقراطيين في حين تنجب الثانية نشطاء مكافحين. سيكون التغيير مُقَادّاً من قِبل نشطاء يستلهمون مفاهيم التحرر الإنساني حتى وإن كان ذلك بكلفة شخصية باهضة

على النقيض من أولئك الذين يعتبرون العمل فرصة تشغيل ومساراً ورفاهة برجوازية وسطى. ومع أن الجنوب الكوني واصل إنجاب النشطاء فإن الغضب الناتج عن الأزمة المالية العالمية (أ م ع) يمكن أن يخلق دينامية مماثلة في الشمال. تحقّر صيغة غرامشي (Gramsci) الشهيرة حول "تفاؤل الإرادة" الأكاديميين للتحرّك اعتباراً لما يتوفر لديهم من قوة، لا بوصفهم مسجلي أحداث فحسب، بل بوصفهم مثقفين عموميين ملتزمين يترددون بين المكتب وتحركات الشارع. أنكون نحن أيضاً منقادين بغضب يعتمل فينا ضد السرقة والسلب اللذان تمثلهما أ م ع؟ إلى أي حد يبلغ تصميمنا على كسر الدائرة الجهنمية من أجل سوق نقية ومنطقية؟ يمنح تفكيرنا في خياراتنا الذاتية قوة بصيرة للمؤسسة بوصفها المتغيّر الناقد وهو ما يمكن أن يعيد تشكيل السياسات.

السياسات

على الرغم من بعض الاستثناءات المعتبرة فإن التأسيس للعمل الكوني في الشمال (الاتحاد النقابي الكنفدرالي العالمي واتحاد الفيدراليات العالمي) منحصر في الغالب بسبب الفصل بين السياسات والاقتصاد والاقتصاد في أحسن الأحوال على نقد آثار النيوليبرالية من دون تحدي جوهره المدمر. هذه حركة تناصر الاتجار الحر في العمل وتقر بأنه يمكن لحقوق العمل وللبرامج الاجتماعية أن تسكّن من كلفة التعديل المعولم. تعادل الحركة بالنسبة إلى مؤسسات العمل الكوني هذه بعث لوبيات نخب الحكم حتى وإن كان المنجز من خلال مثل هذه التكتيكات خلال نصف القرن الأخير نزرًا يسيراً.

يكن أمل محدود وملء بالتناقضات في استعادة حيوية السياسي في الجنوب حيث تتركز حركات عمالية مثل CUT في البرازيل و CTA في الأرجنتين و CITU في الهند COSATU في جنوب أفريقيا و KCTU في كوريا المنبثقة من تقاليد في المقاومة. كلها خاضت معارك حادة ضد إعادة الهيكلة النيوليبرالية طوال العقدين الماضيين. وبالتوازي مع توحيدها في مبادرة الجنوب حول العولمة والحقوق النقابية م ج ع ح ن (SIGTUR (Southern Initiative on Globalization and Trade Union Rights) كانت تقوم بمبادرات أخرى

• اكتشاف الذات: مجتمع مدني متجذر في إسرائيل

بقلم ديفوراه كليكن فيشمان، جامعة حيفا، نائبة رئيس سابقة للجنة د ع ا ح مكلفة بالنشر ومحرة

International Sociology Review of Books



Summer Protests in Israel against Marketization.

يوم الثالث من سبتمبر، شمل التحرك ما لم يكن يُتوقع من بلوغ العدد 430 ألف مشارك (7 بالمائة من الساكنة): أكثر من 300 ألف في تل أبيب، 50 ألفا من العرب واليهود في حيفا بمعية آلاف متناثرة في مدن البلاد من بينهم مئات من المحتجين في البلدات العربية. حافظ منظمو المسيرات على أعداد المحتجين المرتفعة بفصل رفضهم موالاة أي حزب سياسي. أسسوا لجانا بمعية الأكاديميين الذين صاغوا مطالب تغيير أولويات الإنفاق الحكومي بالتّوازي مع النداء الكوني من

أجل الشغل الكريم ومحلات سكن لائقة وخدمات مرضية في الصحة والتعليم، وأسست الحكومة لجانها الخاصة لفحص الإمكانيات المتاحة داخل حدود الميزانية المرصودة. وعلى أثر ذروة المسيرة الضخمة تحول الاحتجاج إلى تجمع شعبي حول "الآلاف" من الموائد المستديرة حيث حُلّت المشاكل وتم التفكير في مقترحات يمكن للحكومة أن تعمل عليها لاحقا.

كان عام الربيع العربي عام الصيف الإسرائيلي كذلك. أدخلَ شهران من المظاهرات الضخمة الاضطرابَ على عدم الاكتراث ذاتي الرضى الذي كان للجناح اليميني من تحالف يجمع ثلثي الكنيست.

خلال هذا الصيف فتح المدنيون قلوبهم واعترفوا الواحد للآخر أن الأمر لم يعد يطاق وتبادلوا تعاطفا متآخيا عُرِف باقتصار وجوده على الجنود في الوحدات المقاتلة. حتّى شهر سبتمبر كانت الحكومة و البلديات تسعّد بتشجيع المحتجين، وهل من دليل أفضل على أن إسرائيل تنعم بالديمقراطية؟ ارتفعت الشوارع على وقع صيحات الرجال والنساء، العرب واليهود من أبناء الطبقات الوسطى كما من أبناء الطبقات الفقيرة مطالبين بإعادة توزيع عادلة للموارد وتجديدا للحكم بوصفه خدمة تُؤدّى للشعب. شملت المسيرات الاحتجاجية مواطنين من كل الأعمار بأعداد أكبر فأكثر على مر ليالي السبت المتتالية. في الرابعة منها،

كان تشكّل المئات من الجمعيات في إسرائيل في مجتمع مدني نشيط ملفتا للأنظار. بدأ الأمر عندما اكتشف شاب اسمه إيتزيك أن ثمن الجبنة الطازجة، وهي غذاء رئيس في إسرائيل، أعلى بكثير من ثمن المنتجات المثيلة في أوروبا و الولايات المتحدة. نظم على صفحته على الفيسبوك مقاطعة لم تكثف بالحصول على خفض الأسعار بل مثّلت تدريبا على الاحتجاج لدى الطبقة الوسطى. بدأ الاحتجاج ذاته عند بداية شهر جويلية عندما انتقلت دافنا ليف (Dafna Leef) بالسكن إلى خيمة لأنها لم تعد قادرة على مواصلة دفع الإيجار والتحق بها المئات. فجأة تحول كيتوريم وهو الرياضة المتمثلة في التجمع في الغرف مع الأصدقاء وتناول المبردات وإطلاق الشكاوى، وهو النشاط اليهودي التقليدي لليالي الجمعة، إلى قاعدة جرد قائمة معقلنة من المطالب التي حدّدت بالتخصيص الحقّ في الحياة. وذكر ذلك بحركة المشاركة الديمقراطية في الكيبوتز "اجتماعات المدينة". وعلى غرار ما فعل منظمو المجتمع المدني في بولونيا والمكسيك، سعى أولئك الذين تزعموا الاحتجاج في إسرائيل إلى التأثير في الماسكين بالسلطة عبر إعطاء الكلمة إلى الشعب فيما أكد القليلون على "ثورة" في تصوّر الحكومة. وفي غضون ذلك كان الناطقون باسم الحكومة يقولون إن "رسالة الاحتجاج قد وصلت"، وأن اللجان ستلتقى الأجوبة المناسبة. ولكن لا يزال يفصلنا أكثر من عام عن الانتخابات ومن المشكوك فيه أن تُقدّم الحكومة الحالية على تجاوز ما هو معروف من التّركيز على الخداع بالسياسات الانتخابية الاقتصادية التي تتبعها الأنظمة ذات العمر القصير.

وتحول تدفق الطّاقة التي انعطفت بالاحتجاج إلى حركية متجددة. مع اقتراب العطلة اليهودية الكبرى قرّرت السلطات البلدية أن تُخلي الشوارع. أُخطِر ساكنو الخيام وآل ترف احتجاج "الطبقة الوسطى" الذي جال بين صفوف كل السّاكنة إلى تظاهر يقوم به مُعدّمو المساكن الحقيقيين أولئك الذين لهم الحق في مسكن عمومي إذ يستجيبون إلى المواصفات ويجدون أسماءهم على "لائحة انتظار" افتراضية. لم تكن الخيام بالنسبة إليهم تظاهرا بل بديلا محترما عن العيش في المعابر وتجميعا لأفراد العائلة. كانت ورطتهم نتيجة منطقية لثلاثة عقود من حكومات الأجنحة اليمينية التي فككت منذ 1977 بوعي ونسقية دولة الرعاية الاجتماعية وفرضت نظاما نيوليبراليا ذا دهاء. أظهرت التحالفات المتعاقبة التي كانت تعتمد التلويح بخطر التهديدات الأمنية المحققة الحقيقية منها والمفتعلة أن الانضباط المدني والخضوع هما السبيلان الوحيدان للتّرقّي بالصّالح الوطني العام. تُجْهِلَتْ تماماّ اهتمامات المنظمات غير الشكّلية التي دأبت على النضال من أجل تقدّم حقوق الإنسان في إسرائيل وفي الأراضي المحتلة تجاهلا نسقيا إلا فيما يهمّ التصحيحات المضطربة في المحاكم وإلى الحد الذي لا يجعلها مطية للتشريع اليميني.

عشر أطروحات حول وضع علم الاجتماع في عالم غير متساو

بقلم بيوتر ستومبكا (Piotr Sztopka)، جامعة كراكوو (فرصوفيا)، بولونيا، رئيس سابق للجمعية الدولية لعلم الاجتماع

أن يوجد علم اجتماع للمحظوظين وآخر لغير المحظوظين. إن علم الاجتماع الجيد قادر على فهم الغنى والفقر سواء بسواء. ثانياً: وعلى عكس ما يدل عليه قول ماثور، *إذا كان المرء راغباً فعلاً في تغيير العالم غير المتساوي فإن واجبه الأول هم فهمه*. أغلب علماء الاجتماع، ثانياً، ذوو توجه إصلاحية ولكن تطلعات نشطائنا لا يمكنها أن تتحقق من خلال الدروس الأخلاقية والتبشير والبيانات الإيديولوجية بل، وحسب، باكتشاف آليات الحياة الاجتماعية وانتظاماتها وبما يشمل تلك التي تخلق اللامساواة والظلم وتعفنهما. قضى كارل ماركس معظم حياته في المكتبة لا على مناريس الشوارع وهو عملاق من عمالقة العلم الاجتماعي لا بفعل *البيان الشيوعي* بل بفضل *رأس المال*. ثالثاً: *يوجد علم اجتماع واحد لعوالم اجتماعية مختلفة*. آليات الحياة الاجتماعية و انتظاماتها كونية بالنسبة إلى الجنس البشري وإن كانت مظاهرها بالتأكيد تختلف من حضارة إلى أخرى ومن ثقافة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر ومن قسم من المجتمع إلى آخر. وحتى هذه الأخيرة تدنو تدريجياً من التماثل بفعل العولمة باستثناء تلك التي تحيل على حالات اللاتساوي الظالمة (الشمال في مقابل الجنوب، المركز في مقابل الأطراف، وانقسامات العرق والنوع والطبقة داخل المجتمعات) مثلها مثل الأصوليات الدينية (المؤمنون في مقابل غير المؤمنين). رابعاً: *معايير البحث العلمي الاجتماعي (السوسيولوجي) والنظريات الجيدة كونية*، وهي تتجمع في ما تراكم تطوره من أدوات المناهج وأرشيف النظريات العلمية الاجتماعية التعددية. ليس لهذا الأمر علاقة بأية وضعية كانت ذلك أن علم الاجتماع النوعي مثله مثل النظريات التأويلية التي تسود اليوم ورغم اعترافها بخصوصية ما تبحث فيه من مواضيع تتطلب هي أيضاً معايير كونية حتى وإن كانت مختلفة عن تلك التي يراعيها علم الاجتماع الوضعي الساعي إلى تقليد علوم الطبيعة.

منذ نحو عشر سنوات، وخلال مؤتمر الجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ج د ع ا) العالمي الذي انعقد في بريسيان (Brisbane) سنة 2002، فزْتُ في سباق انتخابات رئاسة ج د ع ا بشعار "غير لبق" يقول "التميّز عوضاً عن الميزان". يبدو الشعار الآن مناسباً مجدداً وخاصة بعد مؤتمر غوثمبرغ العالمي لسنة 2010 وخاصة على أثر فوز مايكل بوروواي (Michael Burawoy) الساحق وهو الذي ضخ من جديد حماسة ثورية في ج د ع ا تمثلت في المنداة "بديل" ما، وكذا بعلوم اجتماع "أهلية"، وفي بيان الطبيعة القمعية للمناهج والنظريات الغربية و"امبريالية" اللغة الإنكليزية. كنّا قد واجهنا بين وجهتي نظرنا على صفحات *Contemporary Sociology* (عدد جويلية 2011، صص 388-404) ولكن وبسبب ما أدّى إليه ذلك من سوء فهم لموقفه من أساسه وحصولي من دون وجه حق على لقب "آخر الوضعيين"، والمُتاصر الأعمى للولايات المتحدة الأمريكية، أرغب في أن أعرض ما أراه بما يُمكنني من الاختصار والدقة في عشر نقاط. وقد قِيلَ مايكل نشر أطروحاتي على أعمدة حوار كوني وهو ما يستحق عليه الشكر. أولاً: لا يمكن للمرء أن يقف على *استنتاجات إيبستيمولوجية بالاعتماد على الظروف الحالية التي يمر بها العام، أو بالاعتماد على الاختلافات الملموسة بين الأوضاع المؤسسية التي يوجد عليها اختصاصنا في أنحاء مختلفة من العالم*. بفعل حساسيتهم المهنية، ينشغل معظم علماء الاجتماع وأنا في عدادهم، انشغالا بالغا باللاتساوي المجحف الموجود بين المجتمعات المعاصرة كما يوجد داخلها، وهو ما يشمل أيضاً اختلاف فرص البحث المتاحة. ولكن ذلك لا يعني أنه من الضروري

سابعاً: ليس للمطالبة بعلوم الاجتماع القومية من معنى في العالم الاجتماعي الراهن المعولم والأكثر فأكثر كونية. لا يعني اختلاف البلدان أو الدول-الأمم أن علوم اجتماعهم مختلفة أو أنه يتوجب عليها أن تكون كذلك. للمعنى الوحيد للقومية في هذا علاقة ببعض ما بقي من الاختلافات بين المؤسسات والآباء المؤسسين وبؤر البحث. ولكن على النتائج إذا ما استحققت لقب "علم الاجتماع" ولم تكن مجرد دراسات منطقية أو إحصاءات محلية، أن تكون مجردة إلى الحد الذي تغني به مجموع المعرفة العلمية الاجتماعية الكونية. ليس المستقبل، بما في ذلك مستقبل الجمعية الدولية لعلوم الاجتماع، لعلوم الاجتماع القومية بل للبحوث المنجزة في نطاق مجموعات أو شبكات (RCs, TGS, or WGs).

ثامناً: ليس واقع الحال التاريخي الذي جعل لغة طبيعية عَنِيَتْ الإنكليزية بدلا عن أية لغة مصطنعة أخرى وخاصة منها المصمم منها على شاكلة الإسبرنتو، باتت الأداة التواصلية الأكثر استخداماً لدى الخطوط الجوية والحواسيب والإنترنت والعلم بما في ذلك علم الاجتماع كآلة بل هو فرصة معطاة. وذلك صحيح بشكل خاص بالنسبة لعلماء الاجتماع المنتمين إلى مناطق ذات لغات محدودة الاستعمال (مثل منطقتي أنا بالذات) الذين يتوقّر في متناولهم الآن ميراث علمي اجتماعي أكبر (عبر الترجمة إلى الإنكليزية) ويكتسبون منظورية وإمكانات للمساهمة في المجموعة الكونية (عبر النشر بالإنكليزية).

تاسعاً: من الخطأ الاعتقاد أن الوضع الوجودي للباحثين يوفر لهم فائدة إبيستيمولوجية. لم يكن الكشف عن آليات الظلم واللاتساوي وانتظاماتهما إنجازاً حكراً على المستضعفين أو أبناء الدار، وتشير العديد من الأمثلة إلى العكس. تتأني المشروعية الوحيدة الصالحة في العلم من نوعية النتائج لا من الوضع الاجتماعي للباحث.

عاشرًا: قد تكون التقويمات المعيارية والمناظير الإيديولوجية محتومة بل ومقبولة ربما في علم الاجتماع خلال المرحلة التأويلية الخاصة بتخيّر المسألة أو موضوع البحث ولكن عليها أن تختفي خلال عرض النتائج النهائية وتعليلها. وعلى كل أن تكون (Gunnar Myrdal) القيم كما نصح بذلك غونار ميردال مفتوحة على الجدل وذلك هو ما كنت أحاول أن أراعيه في أطروحاتي العشر

رابعاً: معايير البحث العلمي الاجتماعي (السوسيولوجي) والنظريات الجيدة كونية، وهي تتجمع في ما تراكم تطوره من أدوات المناهج وأرشيف النظريات العلمية الاجتماعية التعددية. ليس لهذا الأمر علاقة بأية وضعية كانت ذلك أن علم الاجتماع النوعي مثله مثل النظريات التأويلية التي تسود اليوم ورغم اعترافها بخصوصية ما تبحث فيه من مواضيع تتطلب هي أيضا معايير كونية حتى وإن كانت مختلفة عن تلك التي يراعيها علم الاجتماع الوضعي الساعي إلى تقليد علوم الطبيعة.

خامساً: لا تجرّد خطيئة الأصول النتيجة من صوابها. ليس لواقع الحال التاريخي الذي كانت فيه الأدوات المعيارية وأرشيفات التعدّد النظري من إنتاج متقدمين في السن، ذوي لِحَى ويهود على الغالب، قاطنين في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا ثم تطورت على الغالب في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية أية علاقة بقيمتها الكامنة فيها. ذلك أن هذه كانت على الدوام محلّ تفحص متشكك وتصويبات وتطويرات. ولكن رفض هذه التقليد المنهجي والنظري على أنه "إمبريالي" علامة على ظلامية. وبدلاً عن ذلك أنا أنادي على أثر نيوتن (Newton) ومورتن (Merton) بأن "يستند المرء على أكتاف العملاقة".

سادساً: محاولة ابتداء علوم اجتماع "بدلية" أو "أهلية" عديمة الجدوى مضرة بالاختصاص. ليس يعرف العلم بما في ذلك العلم الاجتماعي حدوداً. إنه يطوّر مجالا للمعرفة يرحب فيه بمساهمات كل علوم الاجتماع القومية والقارية والإقليمية وحتى المحلية ترحاباً كبيراً. يمكن أن تكون لها نفس فرض البحث، وبرامج بحثية واحدة وتركيزاً مختلفاً على بعض المسائل أو التوجهات ولكنها لا تتطلب أية مناهج بدلية أو نظريات أهلية. وبدلاً من الحاجة بالحاجة إلى علوم اجتماع بدلية أسمح لنفسني بأن أنصح: فلنقوموا بذلك. ثمة الكثير من العمل العلمي الاجتماعي الذي يجب القيام به في العالم اللاتربي، ولكنه مبني دائماً على المعايير المنهجية ويساهم في مجموع النظريات الكونية. ما من شيء بديل أو أهلي هاهنا بل وبكل بساطة علم اجتماع جيد.

التميز والتوازن: إنتاج علم اجتماع ذي أهمية

بقلم تينا إيبس (Tina Uys)، جامعة جوهانسبرغ، جنوب أفريقيا، نائبة رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع لشؤون الجمعيات الوطنية

القرار الرئيس في الجمعية بمجلس مجالس تمثل في مجلس البحث ومجلس الجمعيات الوطنية منذ بعث الجمعية كان انتخاب الرؤساء موقوفا على أوروبا (10) والولايات المتحدة (5) بمعية فرناندو كاردوزو (Fernando Cardoso) من البرازيل (1986-1982) وت. ك. أوومان (T.K. Oommen) من الهند (1990-1994) الذين مثلا الاستثناءين الوحيدين. وينتمي أغلب رؤساء لجان البحث للعهد الحالية (2010-2014) إلى الشمال الكوني. قد يحتاج ستومبكا بأن ذلك دليل على أهمية "التميز" في تفوقه على "التوازن"، فيما قد يرى راويين كونا (Raewyn Connell) رؤية مخالفة. يمكن أن يُنظر إلى ذلك على أنه بيان للتوجه العام الذي يرى أن التنظير في علم الاجتماع مجالاً جُكّر على الشمال فيما ينحصر ما للجنوب في تجميع المعطيات والتطبيق وهو الوضع الناشئ عن "هيمنة المتروبول وهامشية الطرف في العلم الاجتماعي" (2007: 219). يمكن أن تُأخذ عوامل أخرى في نظر الاعتبار كذلك ومنها التقسيم المطرد الاتساع لعمل الشمال بفضل التوزيع الواسع لموادّ المنشورة ووجود مراكز الدراسات العليا واسعة الشعبية والنفاذ اللغوي. استنادا إلى قوانين ج د ع ا، يتمثل هدف المنظمة في "تمثيل علماء الاجتماع أينما كانوا بصرف النظر عن مدارسهم الفكرية ومقارباتهم العلمية ومواقفهم الإيديولوجية، وفي التقدم بالمعرفة العلمية الاجتماعية في أرجاء العالم". قد يُحتج على هذا البيان بأنه مناقض لما يراه ستومبكا في ما يهم السياق المستقل: "علم اجتماعي واحد لعوالم اجتماعية متعددة" و"معايير دولية للبحث العلمي الاجتماعي والنظرية الجيدة". لا يمكن للأفهام التي تطوّرت في سياقات مخصوصة أن تُقبل على أنها كونية وخاصة إذا ما كانت تلك

جاء المقال الذي كتبه بيتر ستومبكا على أثر مراجعته ثلاث مجلدات تؤلّف مجموعة من الأوراق المقدمة في اجتماع لمجلس الجمعيات الوطنية التابع للجمعية الدولية لعلم الاجتماع (ج د ع ا) الذي انعقد في تايوان سنة 2009. نشرت مراجعة ستومبكا في *Contemporary Sociology* مقرونة إلى جواب كتبه مايكل بوروواي منظم ذلك اللقاء والنائب السابق لرئيس ج د ع ا لشؤون الجمعيات الوطنية. كان موضوع اجتماع تايوان في *مواجهة عالم لامتناه*: تحديات علم اجتماع كوني وهو كذلك موضوع مؤتمر علم الاجتماع العالمي القادم للـ ج د ع ا في يوكوهاما سنة 2014.

على عكس ستومبكا، أنا لا أرى أن المجلدات كتبت "بحماسة ثورية" بل بوصفها محاولة لتقديم فهم للتنظيم غير المتساوي في إنتاج المعرفة وتبادلها بين المركز والأطراف. قد يكون من المفيد في هذا الموضوع أن ندلي ببعض الإشارات التاريخية حول ج د ع ا وعلاقتها بالجمعيات الوطنية. عندما تأسست الجمعية سنة 1948 ببادرة من اليونسكو، كانت العضوية فيها تقتصر على الجمعيات الوطنية وجماعية الطبيعة إذا. أدرجت العضوية الفردية سنة 1970 وهو ما وسّع من الالتزام الدولي للـ ج د ع ا وعزز نمو لجان البحث ولكنه انتهى أيضا إلى تدني أهمية الجمعيات الوطنية في هياكل صنع القرار فيها. وعندما أدرجت الجمعية ملقّات الأعمال المخصصة في مشمولات نواب رؤسائها للعهد 1974-1978 (مجلس البحث، البرنامج، العضوية والتمويل) كان غياب الجمعيات الوطنية ملحوظا. خلال مؤتمر بيلدفيلد لسنة 1994، تم تعويض مجلس الجمعيات الوطنية بوصفه هيئة صناعة.

يمكن الاطلاع على سرد لتاريخ ج د ع ا في :

Platt, J.. 1998. *A Brief History of the International Sociological Association: 1948-1997*. Montreal: ISA.
<http://www.isa-sociology.org/history-of-isa.htm>

أن تكون العدسة الكاشفة لذلك علم اجتماع أهلي أو منظورا نوعيا (جنس) أو منظورا إنسانيا تحريرا، ويمكن لعلم الاجتماع الأهلي أن يعني سياق منطقة محلية داخل بلد ما أو إقليما (مثل الشمال الكوني) يخترق الحدود الوطنية، أو كيفية رؤية الأشياء انطلاقا من الموقع الذي يحتله الباحث (النظرية المترسّخة) مثلا مستخدما مقولات مثل النوع الاجتماعي أو الطبقة أو الإثنية و أو العمر. عندها ينعقد رهان علم الاجتماع على أن يحتفظ بكل هذه الاختلافات تحت نفس السقف (علم الاجتماع و ج د ع اد) إذ أن من لا يجد محلا يُستمع إليه فيه يمضي بعيدا. وعليه نضع السؤال: أفي "علمنا الواحد" محل للاختلافات؟ أويكون بوسعها كلها أن تكون مسموعة؟

يمثل اجتماع مجلس الجمعيات الوطنية التابع للـ ج د ع ا القادم سنة 2013 فرصة مثالية لتوفير مثل هذا الفضاء. سيكون هناك إمكان للحوار والجدل الحقيقيين بين نظراء متساوين حول مواضيع ومقاربات تهم علماء الاجتماع في كل البلدان والأقاليم. في هذا الاتجاه يمكن لنا أن نؤكد أن لنا التميز والتوازن في إنتاج علم اجتماع ذي أهمية محليا وكونيا سواء بسواء.

حاولت ج د ع ا على مر السنين بنشاط أن تجعل من هدفها حقيقة. أحد الأمثلة الداعمة لذلك المؤتمرات الإقليمية العشر التي أسّس لها إيمانويل والرشتاين (Immanuel Wallerstein) رئيس الجمعية قبل انعقاد مؤتمرها العالمي في 1998 والذي ركّز على وضع علم الاجتماع العالمي من منظور إقليمي. تمثل أحد أهم الإنجازات المحققة في مجال إعادة التوازن لبنية صناعة القرار في ج د ع ا ت في انتخاب سوجاتا باتل (Sujata Patel) من الهند بوصفها أول نائبة رئيس للـ ج د ع ا لشؤون الجمعيات الوطنية في 2002. وقد قاد ذلك أيضا إلى تضمين توصية في قوانين الجمعية بأن ينعقد وعلى غرار مجلس البحوث اجتماع لمجلس الجمعيات الوطنية مرة كل أربع سنوات فيما بين مؤتمرات الجمعية. انعقد أول هذه الاجتماعات في ميامي بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 2005 ونشرت نتائج المداولات في المصّنف الذي حرّره سوجاتا باتل (2010) حاملا للعنوان: *ISA Handbook of Diverse Sociological Traditions*.

مثلما تكون لنا نظريات ومناهج تتنافس على جلب انتباهنا توجد كذلك رؤى للعالم (يمكن أن تكون هي نفس تلك النظريات و المناهج). يمكن في بعض الأحيان

المريض الذي يرفض الاستشفاء أو "دفاعا عن علم الاجتماع"

بقلم نيكيتا بوكروفسكي (Nikita Pokrovsky)، الجامعة الدولية-المعهد العالي للاقتصاد، موسكو، رئيس جمعية المهنيين السوسولوجيين، روسيا، عضو اللجنة التنفيذية للجمعية الدولية لعلم الاجتماع

لا غرابة في أن تكون التهديدات الداخلية ضد علم الاجتماع موجودة أيضا وهي ذات ارتباط بالخارجي. بما أن العديد من علماء الاجتماع والجماعات العلمية الاجتماعية عاينوا التدهور المستمر في دورهم الاجتماعي وأهميتهم بالنسبة إلى الشأن العام فقد قرّروا أن يحولوا علم الاجتماع إلى "قوة اجتماعية"، نوع من الحركة الاجتماعية الواسعة تسعى إلى مجتمع أفضل. من منظور تصور علم الاجتماع هذا تُستبعد قضايا التعلم والدراسة العليا إلى الأفاضل ويتم التأكيد على أجندا علم الاجتماع بوصفه خدمة اجتماعية. "لم يكن من علماء الاجتماع حتى الآن إلا أن فسّروا العالم، إن المهم هو تغييره". مقولة ماركس هذه التي أوردّها مع تحوير طفيف هي في الحقيقة شعار أولئك الذين يحاولون اليوم أن يغيروا العالم حتى وإن لم يكونوا قادرين على فهمه وتأويله على نحو أكاديمي. يسبق الفعل بالنسبة إلى علماء الاجتماع هؤلاء المعرفة. أيامكانا أن نوافق على ذلك؟ ليس هذا بمقدوري، لأننا، وببساطة نعلم في هذا البلد، عَتَيْتُ روسيا، ومنذ ما قبل بدء تاريخ 1917، ما الذي يعنيه تغيير المجتمع تغييرا جذريا قبل التشبّع بمهمة التحليل.

ما علينا (وليس لنا) أن نفعل؟

أنا مقتنع أن موقع عالم الاجتماع ليس على المتاريس العمومية – السياسية طالما أنه (أو أنها) يضع (تضع) رداء العلم الأبيض. يمكن لعلماء الاجتماع بالطبع أن يتحوّلوا في أية لحظة إلى منشغلين بتحقيق أي هدف عمومي، ولكن ذلك يحرمهم على الفور من الحق في تمثيل العلم الاجتماعي. ليس علينا أن نشترك في علاج المجتمع (منفصلا عن تحليله). ثمة العديد من المؤسسات الاجتماعية التي تتمثل مهمتها الرئيسية في جلب ذلك العلاج عَتَيْتُ الدولة والمجال السياسي والمنظمات والحركات العامة والصحافة والرأي العام، إلخ. يعلم أيّ من العارفين بالمسار العلاجي جيّد العلم أن دور التشخيص بالغ الأهمية وأن النجاح النهائي للعلاج يعتمد اعتمادا كليا على صواب الأول ومناسيته للحالة. ولكن ليس يمكن ولا يجب خلط التشخيص بالعلاج، إذ ينتميان إلى مجالي خبرة مختلفين. يمكننا بالتأكيد المساهمة في تغيير العالم عبر الحفاظ على أهدافنا المهنية والعلمية وكذا عبر المزيد من الثقافة العلمية الاجتماعية والوعي داخل مجتمعاتنا عبر التعليم ووسائل الإعلام. تلك هي فحسب "مهمة علم الاجتماع العمومية"، وإلا انحدرنا إلى درك العميان الذين يقودون عميانا. أساند بقولي هذا بقوة الأطروحات العشر التي وضعها بيوتر ستومبكا دفاعا عن علم الاجتماع. العلم الاجتماعي بالنسبة إليه كما هو بالنسبة إليّ أنا أولا وقبل كل شيء علم وتميز مهني. كل ما عدا ذلك يمكن أن يوضع موضع سؤال.

بعد قضائي سنوات عديدة في حقل علم الاجتماع المهني والدولي، يتأبني شعور ضاغط بأن مستقبل علم الاجتماع في عالم اليوم يتهدده خطّ فعلي، إذ أن مصيره غير يقيني وصفوفنا المهنية متشتتة أكثر من أي وقت مضى. سأحاول أن أعقلن مشاعري الدفينة وحدوسي. "أونحن في حاجة فعلا إلى الدفاع عن علم الاجتماع؟ ضد من؟ ولماذا الآن؟". أنا دائم التفكير في هذه التساؤلات ناظر إلى روسيا موطني و إلى الساحة الدولية في آنٍ معًا. أكره الاستماع إلى الأصوات المتشائمة ولكني مجبر على ذلك. ثمة في نظري مخاطر جدية خارجية تهدد علم الاجتماع كما توجد تهديدات تتأتى من داخل جماعتنا المهنية ذاتها.

التهديد من خارج يتمثل الخطر الخارجي في تهديد رئيس. لنقل، بغية حُسن توصيف ذلك، إن علم الاجتماع يفقد في عالم اليوم تأثيره وسلطته فقدانا سريعا. فلا بنى السلطة (وعلى رأسها الدولة والأعمال) ولا الجمهور يكثرثون لما يمكن أن نسميه "التشخيص العقلاني" للحالة المرصية التي يوجد عليها الاجتماعي. وبدلا من ذلك تتولى العديد من القوى غير العقلانية زمام الأمر، وتسود، في كل مكان، أشكال الدين القديمة وحديثة الابتداع والميثولوجيا الاجتماعية والإيديولوجيا وفقدان البصيرة لدى الجمهور. من دون عناء دفعت هذه القوى العقلانية جانبًا حتى في العلوم الاجتماعية، وفي ظل هذه الظروف يتقلص بشدة مجال علم الاجتماع العقلاني والأكاديمي. وفي اعتقادي أن نور العقل هو الأساس الوحيد الذي يمكن لعلم الاجتماع أن يقوم عليه. لنا القدرة نحن علماء الاجتماع على تزويد المجتمعات بما يشخص حالاتها، ولكن "زباننا" و"مرضانا" عَتَيْتُ مجتمعاتنا، يرفضون على ما يبدو أكثر فأكثر الاستشفاء. تشعر مجتمعاتنا بنفسها في حال أفضل من دون التشخيص السوسولوجي على الرغم من كون حالة "المريض" حرجة بالفعل في حالات عديدة. وبعبارات أخرى ينجم الخطر الخارجي من إنكار المجتمع لتحليل الوضعية الراهنة المؤسسة على العلم والعقلانية. والحقيقة أن هذه حالة "مريض يرفض الاستشفاء".

التهديد من داخل

التبعية الأكاديمية

بقلم فرناندا بيغل (Fernanda Beigel)، المجلس الوطني للبحوث العلمية والتقنية، الجامعة الوطنية
بكويو، الأرجنتين

والمؤسسات أم بين القدرات البحثية غير المتكافئة والحركية الأكاديمية غير المتجانسة. نضع اليد في حقل البحث هذا على تحليل التبعية الفكرية والمركزية الأوروبية والاستعمار داخل الإنتاج المعرفي. وتتوافق هذه الدراسات نقدياً مع تحليل التبعية والبنوية الأمريكية اللاتينية دَيْكُ التقليديين العلميين دَوِيّ الاهتمام بالاقتصاديات والسياسات. في النصف الثاني من السنوات 1970، أثبتت دراسة إدورد شيلز (Edward Shils) وجوزيف بن ديفيد (Joseph Ben David) وفيليب آلتباش (Philip Altbach) وجود عوامل مخصوصة تبني التبعية داخل الحقل العلمي. وفي سنة 1988، نشر فريدريك غارو (Frederick Gareau) مقالا مهما في *International Sociology* بيّن فيه أن العلوم الاجتماعية غربية التكوين بنت "حقائقها" بمدخلات عالم ثالثة لا تزيد عن كونها هامشية وهو ما يثير أسئلة خطيرة حول موضوعيتها. فقد أظهرت دراسته للموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية (*International Encyclopedia of the Social Sciences*) أن 98.1 بالمائة من الكتاب منتمون إلى جامعات أمريكية شمالية أو أوروبية مع وجود الرئيس من هذه الأخيرة في المملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا. وتظهر بحوث حديثة أن "المعايير الكونية" التي يخضع لها البحث السوسيولوجي و"النظرية الجيدة" تكونت واكتسبت لها مشروعية عبر نظام النشر "الدولي" الذي أطلقه أوجان غارفيلد (Eugene Garfield) خلال السنوات 1950. وطوال عقود ظلّت قوائم الترتيب في سجل شواهد العلم الاجتماعي (س ش ع / *Social Science Citation Index*) تحت هيمنة المجلات الأمريكية والأوروبية. وتركّز الصيت الأكاديمي تدريجياً كما تأسس نظام هرمي دولي يُميّز البحوث المنجزة في المراكز الأكاديمية الأعلى صيتاً عن المعرفة الهامشية التي تُنتج وتُنشر خارجها. وعلى الرغم من تنامي الإنتاج العلمي في العديد من بلدان الأطراف فإن أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا تساهم حالياً بأقل من عشرين بالمائة من المقالات المنشورة في س ش ع. ونتيجة لذلك كان السعي إلى الاستقلالية الأكاديمية مهمّة معقّدة وعسيرة الإنجاز على علوم اجتماع الأطراف فيما يكون ذلك بدورها بالنسبة إلى علم الاجتماع الأمريكي أو الفرنسي.

في سياق محاولته اختزال علم اجتماع علم الاجتماع في ممارسة إيديولوجية بيني بيوتر ستومبكا (Piotr Sztompka) داخل علم الاجتماع مزيجاً من التبعية الأكاديمية والامبريالية الفكرية والاستعمار مُجمّعاً كلّ ذلك بصفة لا نقدية ومعتبرا إياه طبيعياً، صارفاً النظر بشكل قاطع عما عدى ذلك عن طريق اختزاله في "انعكاس" للانقسامات ذات الأساس الأكثر خارجية عن مجتمعا بالازدراء التي استخدمها ستومبكا في وصف باحثي الأطراف وكتاباتهم، فإن أولى حججتي ضد مقاله تقول إن للدراسات الناقدة للعلم تاريخاً ممتداً منذ انبثاقها في الشمال وفي الجنوب حوالي منتصف القرن العشرين عندما تورّط العلم (وخاصة منه العلوم الاجتماعية) في الحرب الباردة. للتبعية الأكاديمية راهنا أبعاد أخرى كما لها نموذجها النظري (براديفمها) الخاص داخل علم الاجتماع الجاري على اعتباره "اختصاصاً متعدد النماذج" على حد اعتبار ستومبكا ذاته (2010: 22). تغذى التبعية الأكاديمية العلمية بوصفها حقل بحث مما ينجز من الدراسات الاجتماعية للعلم ومن الإيستيمولوجيا النقدية ومن دراسات التعليم العالي المقارنة، وهو يشمل بنية إنتاج المعرفة وجولانها غير المتساوية التي انبثقت تاريخياً بالتوازي مع النظام العلمي الدولي. تتكون هذه البنية من مسارات مؤسسية ومادية ورمزية مترابطة أنتجت طرائق مختلفة في البناء الأكاديمي. في الأطراف تكون هذه التمهصلات نتاجاً تاريخياً للاستجابات القومية والإقليمية للتدويل وخاصة مع اعتبار الأدوار المتنوعة التي تضطلع بها الدولة في التنمية العلمية والتعليم العالي.

ليست ثمة ندرة في الدراسات التي تتناول العلاقة بين البحث العلمي والمساعدات الأجنبية، وبين النشر وشجّ الموارد المادية وبين التوزيع غير المتساوي للصيت العلمي فيما بين الاختصاصات

References

- Beigel, F. (2010) "Social Sciences in Chile (1957-1973). A laboratory for an autonomous process of academia-building." Pp.183-212 in *Academic Dependency in the Social Sciences: Structural Reality and Intellectual Challenges*, edited by S. F. Alatas and K. Sinha-Kerkoff. New Delhi: Manohar.
- Beigel, F. (2011) "Científicos Calibanes. Las ciencias sociales latinoamericanas en la encrucijada del sistema académico mundial". Valparaíso, IV Congreso Chileno de Sociología.
- Gareau, F. (1988) "Another type of third world dependency: the social sciences," *International Sociology* 3(2): 171-178.
- Sztompka, P. (2010) "One Sociology or many?" Pp.21-28 in *The ISA Handbook of Diverse Sociological Traditions*, edited by S. Patel. London: SAGE.
- Sztompka, P. (2011) "Another Sociological Utopia," *Contemporary Sociology* 40(4): 388-396.
- UNESCO. (2010) *World Social Science Report. Knowledge Divides*. Paris: UNESCO.

أظهر التقرير الدولي للعلم الاجتماعي (UNESCO، 2010) أن عدم التساوي في المؤسسات وفي قدرات الترجمة وفي الموارد المادية محدّد بشدة في الحياة الأكاديمية. لا يزال البحث المتعاون تحت هيمنة الشراكات شمال-شمال مع مناب زهيد للمقالات مشتركة التحرير جنوب-جنوب (2010: 146). وقد بين هيلبرن (Heilbron) أن للخبرات الرمزية التي تنتجها الأكاديميات المركزية مكتوبة بالإنكليزية نطاق انتشار دولي أوسع بكثير من تلك المنتجة مكتوبة بلغات مهيمن عليها (الإسبانية، والبرتغالية والعربية والروسية). وتنحدر معدلات "تصدير" هذه الأخيرة إلى أدنى درجة إن لم تكن صِفراً على اعتبار عدم تمكنها إلا من نفاذ بسيط إلى المجلات الأعلى صيتاً والتي تنشرها المؤسسات البحثية الرّاسخة. كما تبين أن بمستطاع الدائرة الطرفية أن تخفّض من الاستيراد الأجنبي وأن تزيد من الإنتاج الأهلي للمفاهيم والنظريات، ولكن ما هو أصعب من ذلك بكثير عليها يظل تحقيق المزيد من جولانها الدولي. لقد بلغت هذه "المراكز الطرفية"، في العلوم الاجتماعية خاصة، مراتب مهيمنة في المناطق الجنوبية ولكنها تظل تابعة وسَطَ "علم الاجتماع الكوني" (Beigel, 2010).

ليس ثمة إجماع حول إمكانات تجاوز التبعية الأكاديمية وسبيلها. على مستوى كل باحث فرد يسر بناء المسار المهني من خلال التعليم العالي الدولي والنشر بالإنكليزية من دون شك اجتيازاً ناجحاً للحدود نحو الاعتراف الأكاديمي حتى وإن كان ذلك على العموم أكثر تحقّقاً بالنسبة للعلوم الطبيعية. ولكن هذه السبيل إلى تركيم رأس المال العلمي لا تؤدي ضرورةً إلى نمو علمي أوسع في المجتمعات الطرفية.

كلمة أخيرة حول التعارض بين علم الاجتماع الغربي وعلم الاجتماع الأهلي وهما الموقفان الذين اخترلهما ستومبكا في قوالب جاهزة هيمنية. ليس علم الاجتماع ظاهرة جديدة في الأطراف، فله تاريخه الخاص وتعارضاته الخاصة فيما يتركز جدل واسع بالضبط حول وضع المعرفة الأهلية. ومثلاً بمثل يُخفق المنظور الثنائي في الاعتراف بالأبعاد النقدية التي جالت في "علم الاجتماع الغربي" لمدة لا تقلّ عن الخمسين سنة. والحقيقة أن لنا الكثير من علوم الاجتماع في الغرب كما في "بقية" العالم.

إنتاج علم الاجتماع في عالم اليوم اللامتساوي

بقلم هيلغا نوتوني (Helga Nowotny)، رئيسة المجلس الأوروبي للبحث، رئيسة فريق الاستشارة العلمية، جامعة فيينا، النمسا، عضو الجمعية الدولية لعلم الاجتماع الدائمة

وطب) هي الاختصاصات الأكثر استفادة، تتغير اللوحة سريعا مع تصاعد ما تحصل عليه الصين والهند والبرازيل من مَتَاب. في مواجهتنا لمسائل مجتمعية جديدة تتدرج من التغيير المَنَاحِي إلى الأصولية ليست أهمية العلم الاجتماعية غير ذات بال بالنسبة إلى صنّاع القرار. وفيما لا تمثل البلاغة المتغلغلة حول التجديد إلا رهانا جماعيا على مستقبل هش فإن تجديدا علميا تكنولوجيا أكبر سيتضمن بالضرورة تجديدا اجتماعيا أكبر.

تحرر علم الاجتماع من انحباسه داخل الحدود التخصصية والقومية

بالمقارنة مع بدايات علم الاجتماع، تناقصت أهمية الهويات التخصصية والقومية ومظاهرها البارزة إلى حد كبير ذلك أنها ما إن تطلّع بدورها في تكوين الاختصاص حتى تهدد بخطر التحول إلى معرقل. يتميّز العلم مأخوذاً في المعنى الذي تسبغه اللغة الألمانية على المعرفة (Wissenschaft) بحركية داخلية متعددة فكثيرا ما تنشأ المعرفة الجديدة مما يجمع بين الاختصاصات القائمة. تتحرك المناهج والأدوات والتقنيات إبداعيا متخطية الحدود، وعلى الرغم من احتفاظ هياكل الاختصاصات المبنية على مقياس أسسها بقوة مانعة فإن اتساع التعاون متفاعل الاختصاصات لا مَرَدَّ له.

ليس يعني هذا القول إن حدود الاختصاصات باتت غير مناسبة إذ لا يزال ترسيخ هوية اختصاص يُنشأ في سياقها الطلبة ذا أهمية في تَعَلُّمِهِمْ ما يمثل مسألة علمية اجتماعية مثيرة للاهتمام. ما تزال ثمة حاجة لشعور واسع الانتشار بأن لا بد من "حوهر علمي اجتماعي" حَامٍ تجاه توجّه جديد في التصرف الأكاديمي يرهنه بمعايير الفاعلية والمساءلة (العملية). ليس هذا مشكل الغرب فحسب، فعلى اعتبار الانتشار السريع لنموذج الأعمال وأثره على الجامعة الناجحة، الأنغلو سكسوني غالبا، وتقليده المتلهف في بقية أرجاء العالم تبدو حدود التخصصات مهيأة للاعتصاب التصرفي في كل مكان.

يحيا علم اجتماع القرن الواحد والعشرين في عالم لامتساوٍ، ولكنني بدأت أرى أنّ لَه من الموارد الفكرية والعلمية أكثر بكثير مما كنت أعتقد، وذلك بعد أن قرأت الحوار المثير على نَحْو غير اعتيادي بين بوتر ستومبكا (Piotr Sztompka) ومايكل بوروواي (Michael Burawoy). افسحوا لي المجال لأعِدُّ منها ثلاثا فحسب.

العلم الكوني وإمكاناته غير المتساوية:

على اعتبار التداخل غير القابل للتمييز بين حدود البحث والتكنولوجيات واستخداماتها الممكنة والحادثة بات العلم مشروعا كونيا. وحيث تنظر أغلب الحكومات إلى تغيير عالمنا اليوم عبر العلم والتكنولوجيا على أنه محرك للنمو الاقتصادي ولصيت الوجهة القومي و أو لقوة الردع العسكري فقد بلغت معدّلاته مستويات غير مسبوقة. نتائج مثل هذا التدخل البشري هي مستويات جديدة من التعقيد مقرونة بلايقينيات جديدة ويزور مشاكل كونية ومحلية معلومة.

يوضع أمام العلوم الاجتماعية والإنسانية وعلم الاجتماع منها خاصة تحدي إعادة التفكير في أساسياتها نفسها من منظور معنى الوجود الإنساني وكيفية التعامل مع الشرط الإنساني التكنولوجي والظرية التي تُبنى فيها أطر الحياة المشتركة. وباعتبار استحقاقات دراسات العلم والتكنولوجيا حول الإنتاج

المشترك للنظامين الاجتماعي والطبيعي تبدو الأسئلة المتعلقة بالنفاذ المتساوي للمعلومة والمعرفة والتربية والمشاركة الديمقراطية حاسمة من منظور قد يبدو يُؤثويًا ويخص مواطنة علمية كونية مستقبلية. ينعكس التوزيع اللامتساوي للموارد على النفاذ غير المتساوي للتعليم العالي وتمويل البحث وأفضل تنظيماته. لا تزال الأغلبية الساحقة من المنشورات العلمية تُنتج في الشمال مَوطن الجامعات ومؤسسات البحث الأكثر إنتاجية وصيّا. في غضون ذلك، وعلى اعتبار أن ما تعرف باختصاصاتها الأولى ع ت ه ط (علم، تكنولوجيا، هندسة

الحقيقة ذاتها، وهو ما يصح إذا ما أخذت في صيغة الحقائق جَمْعًا، في تطوّر مستمر. ذلك هو السبب الرئيس الذي جعل فكر الأنوار يستمر وسيجعل أية محاولة لتصميم أنماط بديلة من إنتاج المعرفة تصدياً لهذه السيرة كاملة القوة لأنها ذاتية التجديد. تتطلب الأنوار في مستوى اعتبارات أخرى إعادة التفكير فيها أو حتى إعادة ابتداعها (Aboagora)، عليها أن تنتهي إلى نهاياتها في ما بنته من تناقضات بين المشاعر (بما في ذلك المشاعر الأخلاقية) وبين العقل واللامعقول وبين خيال الفرد المستقل وارتباطاته بتجمعات عديدة متغيرة، كما عليها أن تعيد النظر في تلك الثنائية غير القابلة للحصر بين الطبيعي والمصطنع، وأن تقر بزيف كونيتها والقبول بدلا من ذلك بفكرة تظافر السياقات المعمم.

ذلك هو السبب الذي يجعل مشاريع من نوع " إضفاء الصبغة الجهوية على أوروبا" (ديباش شاكرابارتي Dipes Chakrabarty) أو " من الممكن وجود معرفة أخرى" (دوسوزا سانتوس، 2007 De Sousa Santos) توالي المطالبة بتجاوز الابستمولوجيات الشمالية والاعتراف بالتنوع الإبيستيمي. هذه المعارف البيوتوبية الواقعية ممكنة إذ أن خيالها يزخر بالمقاييس البديلة مثل الكرامة الإنسانية والعدالة الجماعية والقدرة على التطلع (آرخون أبودوراي Arjun Appadurai) أو لأنها تستدمج حركات فرعية فيما تقاوم إغراء الرُسُوّ بيوتوبياها على نسبية تموج على رمال متحركة. على تلك المشاريع أن تشتبك مع هرميات إنتاج المعرفة القائمة حتى وإن كانت هذه تعيش تغيرات سريعة من خلال ما يتوفر لها من إمكانات تربوية كونية معولمة بفضل استخدام التكنولوجيا الجديدة التي تخترق الاحتكارات التكنولوجية وعبر النفاذ إلى الإنتاج المشترك للمعرفة.

على أنني أجدني مضطرا للتصديق على الخاتمة المتزنة التي توصلت إليها الجمعية الملكية (Royal Society): "تبدو الإنكليزية مهياً لمواصلة الهيمنة بوصفها لغة البحث وتبدو الجماعة العلمية الكونية مستعدة إلى حد كبير للتأقلم مع ذلك".

أظهر علم الاجتماع أن بإمكانه أن يكون أكثر إنتاجا وتمردا مما يكون عليه كلما اجتاز الحدود إلى مجالات اختصاصات أخرى مؤكداً على التوافق الإنساني ورادا المجتمع إلى ما هو عليه من التعددية المُخَيَّرَة. وعلى الرغم من نشأة علم الاجتماع في ظل الدولة-الأمّة مطابقا بين مسألة النظام الاجتماعي والاستحقاقات المجالية، فإن كل علم اجتماع قومي يبدو من منظور اليوم بوصفه مكونا من مكونات نظام بيئي متعدد المعارف يبنى ضرورة عبر توطيات مؤسسية مختلفة وفي سياقات سياسية واقتصادية وثقافية.

على علم الاجتماع أن يواصل، عبر نضاله ضدّ إضافته الصبغة الجهوية بذاته على ذاته تحرره من انحباسه في حدوده التخصصية والقومية. ولا يزال علينا أن نرى إن كان مهينا ليتحول إلى " تخصص ما بعدي" عبر العمل على إكساب ممارساته الصبغتين التعددية والكونية. تاريخيا يتّبع ذلك التحوّل من نظام هرميّ (مع /التنين Leviathan لتوماس هوبز وأسلافه) إلى التحقق اللامتجانس للحركات الاجتماعية والشبكات برهاناتها المتأرجحة الخاصة في ظل غياب المؤسسات التي لا يزال قيامها قيد الإنجاز.

يوتوبيا المعرفة البديلة-الخيالية-الحقيقية

على يوتوبيا المعرفة أن تمفصل بين افتراضاتها الإبيستمولوجية التي تبتغي أن تبني عليها وبين مقاييس التصديق على إنتاجها المعرفي هي ذاتها. عليها أن تجد مكانا لها في هرمية المعرفة الحقيقية التي تتحداه. ومن بين مخلفات الأنوار التي لا تزال قائمة يُمكن أن نعدّ معارضتها الشديدة لكل السلطات الدينية والسياسية وتشككها العميق واعتقادها في كون كل معرفة بما في ذلك المعرفة العلمية مؤقتة لا غير يَعْقُها توسّع متبلور للفهم الإنساني للعالم.

References

- Aboagora (2011) <http://www.aboagora.fi/>
 Allenby, Braden R. and Sarewitz, D. (2011) *The Techno-Human Condition*. Cambridge, Mass.: The MIT Press.
 Chakrabarty, D. (2007) *Provincializing Europe: Postcolonial Thought and Historical Difference*. Princeton: Princeton University Press.
 De Sousa Santos, B., ed. (2007) *Another Knowledge is Possible: Beyond Northern Epistemologies*. London-New York: Verso.
 Nowotny, H. (2010) "Out of science – out of sync?" Pp.319-322, in, *World Social Science Report*. Paris: UNESCO.
 Nowotny, H. (2006) "The Potential of Transdisciplinarity", <http://www.interdisciplines.org/>
 Nowotny, H., P. Scott, and M. Gibbons. (2001) *Re-Thinking Science: Knowledge and the Public in an Age of Uncertainty*. Oxford: Polity Press.
 Pollock, S. (2008) "Disciplines, Areas, Postdisciplines." Paper presented at the Lisbon Conference on Curriculum Development in the Second Phase of the Bologna Process. Lisbon: Calouste Gulbenkian Foundation.
 Royal Society (2011) *Knowledge, Networks and Nations: Global Scientific Collaboration in the 21st century*. London: Royal Society.

عندما لا تعني نهاية الحرب حلول السلام

بقلم آليس شيبينيكوفا (Alice Szczepanikova)، منتسبة برنامج ألكسندر فون هومبولت لبحث ما بعد
الدكتوراه، جامعة غوته، فرانكفورت أم ماين، ألمانيا



الشيشان سنة 2008 ومنح اللجوء إلى النمسا فيما وجد
ابنهما نفسيهما مجبرين على الطيران قبل ذلك بعد أن وقعا
ضحيّتي الاعتقال اللاقانوني والتعذيب. تُظهر قصّتهم هذه أن
نهاية الحرب في الشيشان لم تجلب السلم والاستقرار
لمدنيها وأن الحصول على اللجوء في البلدان الأوروبية لا
يضمن الأمن والعيش على مَبْعَدٍ من الخوف.
انقضت الآن 17 سنة على بداية الحرب الروسية الشيشانية
الأولى و12 سنة على بداية الحملة الثانية. أُعلنت الحرب سنة
2002 Vladimir من قِبَل رئيس روسيا حينها فلاديمير بوتين

دعّني لوبا فلادوفسكايا (Luba Vladovskaja) إلى
شقتها المظلمة الباردة في ضاحية فينسي. وبعد أن
قضت أياما وليالي طويلة في أقبية غروزي وملاجئها،
عاصمة الشيشان، طلبت من أبنائها أن يجدوا لها شقة
ذات نوافذ عريضة. حصلت على نوافذها العريضة ولكن
هذه كانت مُوَاجِهَةً لغناء متسخ وذات أطر محطمة كانت
تصطفق مع الرياح وتجعلها شديدة البرودة. كانت تتقاسم
تلك الشقة ذات الغرفتين وباهضة الكراء مع ابنها وزوجها.
كان الزوجان قد أجبرا على مغادرة

حقوق الإنسان (واللّتان قُيِّلَتَا لاجِقًا) مقالات حول التفرد الذي تميز به قرار المحكمة العليا هذا. كان القاضي قد قرّر بكل بساطة بأن يتبنّت من الدليل عن قرب فانهارت القضية. وفيما كان ميخائيل يستعيد عافيته من الجروح العديدة التي كانت قد أصابته كان من الواضح أنه وأخاه الذي عُدِّبَ هو أيضًا حتّى يَعْتَرِفَ على ميخائيل مجبران على مغادرة البلد لتفادي حبس آخر. وكان مكتب المدّعي العام في الحقيقة قد تمكّن من أن يستأنف الحكم بإخلاء السبيل. وعلى أثر رحيلهما واصلت لوبا العمل على تأكيد الحجة ببراءة ابنها وعلى أن تجعل مدّعيه يمثلون أمام القضاء. وسرعان ما بات الأمر خطيرًا فقد كان عليها أن تكابد العديد من زيارات القوات المسلحة لبيتها كما أطلقت عليها النار من سيارة عابرة، ففهمت أن عليها أن ترحل هي أيضًا. وعلى أثر حربي الشيشان كان مسار "استتباب الوضع في ظل حكم السلطات الشيشانية هو ما أجبرها على الرحيل نهائيا.

بعد أن استقرت لوبا في منزلها الجديد، بدأت أمراضها العديدة في الظهور، حيث، وببساطة لم تكن في الشيشان قادرة على أن تعالجها. قضت أوقاتا طويلة في المستشفيات ولكن الخوف كان عصيا على العلاج. تقول إنه يسكن منغزرا في أعماقها بحيث لا يمكنها أن تتخلص منه. ترتعش لوبا حتى عندما يرن جرس الهاتف. أُمَبَّرَ خَوْفُهَا؟ سنة 2009، أَرَدَى الرِّصَاصُ مَيِّتًا عَمَرَ إسرائيلوف (Umar Israilov)، ذلك الشاب الشيشاني الذي كان حصل هو أيضا على وضع اللّجوء في النمسا وسط أحد شوارع فيينا وفي وضح النّهار. كان الشاب قد اتّهمَ قبل ذلك الحكومة الروسية بالسماح بممارسة الاغتيالات والتعذيب في حق المقبوض عليهم بصفة لا قانونية في الشيشان وخصّ بالاتهام بالقيام بهذه الأفعال مباشرة الرّئيس الشيشاني الحالي رمضان قديروف (Ramzan Kadyrov). باغتيال إسرائيلوف على هذا النحو لا يُقْضَى على شاهد في القضية فحسب بل يُلَقَّنُ درسٌ للأجنيين الشيشانيين. تسود الرّيبة بين الجماعات الشيشانية إذ تدفع الكثير من الأخبار إلى الاعتقاد أن نظام قديروف يرتكب أفعاله في أوروبا. سلّطت أحكام قاسية على من ارتكب جرائم الاغتيال في النمسا هذه السنة ولكن الرابط الموصل إلى من يُعْتَقَدُ أنهم يأمرّون بها ظل من غير إثبات. وبما أن داعم قديروف، فلاديمير بوتن بتّهيأ لعهدة أخرى رئيسا لروسيا، فيبدو أن حصانة المجرمين ضد العقاب في الشيشان لن تشهد نهاية قريبة.

وخلال السنتين اللّتين تَلَيَّتَا كان المواطنون الروس القادم أغلبهم من الشيشان مجموعة طالبي اللّجوء الأكبر عددا في أوروبا. قبلت النمسا قسما كبيرا من تلك الطلبات وواصلت روسيا احتلالها واحدا من المراكز الثلاثة الأولى للبلدان التي تصدر عنها طلبات اللّجوء الأكبر عددا في أوروبا. وعلى الرغم من تصاعد معدّلات رفض الأشخاص الوافدين من شمال القوقاز على امتداد كل أوروبا، فإنهم يواصلون الصّراع من أجل المجيء.

خلال السنوات 2000، سلمت إدارة البلد إلى الشيشانيين الموالين لموسكو في ما عُرِفَ عَلَى أَنَّهُ شَيْشَتَّةُ الصّراع، وكان عليهم أن يقودوا بأنفسهم الحملات "المضادة للإرهاب". وبفضل ما تمتع به الشيشانيون من دعم موسكو انتهى اتّساع ما كان يمارسونه من الإدارة الفعلية للبلد إلى أن صار هامشا جوهريا. وعليه، وعلى الرغم من كون الشيشان جزءا من الفيدرالية الروسية، فإن لها نظاما خاصا مُوَارِثًا من الإجراءات القانونية الجزائية يعتمد قوانين غير مكتوبة تتغاضى عن تزوير الأدلة والتعذيب الذين يُعَدُّ ضحاياهما بالآلاف الآن. للسلطات المحلية طرق مميزة للتحقيق في الجرائم إذ تعتمد أولا إلى تحديد جناة محتملين ثم وعلى أثر ذلك فحسب تبدأ في التقاط الدليل الذي يدينهم بارتكاب أفعال إجرامية، وعادة ما يكون الدليل واهٍ ويعتمد اعترافات منتزعة بقوة التعذيب. ولكن وفي ظل ولاء أغلب ممثلي نظام العدالة للنظام الموالي لموسكو، فإن تلك طريقة فعالة للتعامل مع الحالات غير الناجزة وتأمين التدرّج الوظيفي وكل ذلك تحت عنوان مكافحة " الإرهاب الإسلامي".

برأت ساحة ميخائيل فلادوفسكي (Mikhail Vladovskij) ابن لوبا بعد سنتين قضاها في السجن، وكان قد حُيَسَ من أجل تهمة تفجير سيارات تمتطيها عناصر من القوات المسلّحة. كان يفترض قيامه بهذه الجرائم برفقة رجل آخر كان في الواقع قد التّقاَهُ لأوّل مرة في مقر الإيقاف لدى الشرطة في غروزني حيث عذبا الإثنان. وعلى اعتبار نموذجية الحالة فقد كان الحكم بالبراءة مفاجأة. كتبت أنا بوليتكوفسكايا (Anna Politkovskaya) وناتاليا إيسنيميروفا (Natalia Estemirova) المدافعتين البارزتين عن

مؤتمر الجمعية الأمريكية اللاتينية لعلم الاجتماع: البيان الختامي

من تحرير راكال سوسا إيثاغا ((Raquel Sosa Elízaga، جامعة مكسيكو الحرة، نائبة رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع المسؤولة عن برنامج مؤتمر يوكوهاما، 2014



Chilean students making their protests felt at the Congress of the Association of Latin American Sociology, September, 2011.

المشترك وللأسئلة التي صغنا ولنتائج الأبحاث التي قدّمنا في واحد من أشد المؤتمرات كثافة عاشتها جمعيتنا على الإطلاق. منطقتنا ملأى بالتناقضات، إذ عانينا من ناحية الفقران التراجيدي لخمسين ألف من ساكنة مكسيكو والطلب الملح للعدالة وإيقاف ما يمكن تسميته الآن بالإبادة وتلك المعاناة المستمرة المتولدة عن دمار هاييتي وإعادة إعمارها الذي يخطو خطو السلحفاة وخطر استعادة قدامى مقترفي الإبادة لسلطتهم في غواتيمالا والاستعاضة عن آمال الآلاف من مواطني الهندوراس بظهور عتاة جدد، واستمرار الحصار الاقتصادي سيئ الصيت الذي مس من حرية الشعب الكوبي طوال الخمسين سنة الماضية، ووجود قواعد عسكرية أجنبية في كوبا وكولومبيا وبيورتو ريكو. من الناحية

انعقد مؤتمر الجمعية الأمريكية اللاتينية لعلم الاجتماع الثامن والعشرون من السادس إلى العاشر من سبتمبر من سنة 2011 في ريسيف، في البرازيل، جامعا 4578 مشاركا و9716 مسجلا من الطلبة والمهنيين والباحثين والأساتذة. بذل عشرات الأساتذة والطلاب ومُنْتَسيي جامعة ريسيف وجامعات برازيلية أخرى جَهْدًا جماعيا خارقا لتنظيم سبع محاضرات رئيسة وتسع جلسات مدمجة وخمسة وعشرين جلسة مخصصة الموضوع واثنين وخمسين مائدة مستديرة وثلاثين مجموعة عمل. كانت تلك مجموعة قوية ونشطة وناقدة وملتزمة تكونت على الغالب من الشبان الذين أكسبوا معنى لمحاورتنا ولبحثنا

على أنه من المشجع شُهوْدُ اندلاع حركة تحرير دفاعا عن التعليم العمومي في الشيلي بالذات حيث بدأ تنفيذ السياسات النيولبرالية في جامعاتنا. وعلى غرار ما كان في الشيلي قامت حركات الطلبة والكليات في الأوروغواي وبوليفيا والبرازيل وبويرتو ريكو دفاعا عن الجامعة العمومية. ويرفع الكثير من المهنيين والعلماء الاجتماعيين عقائهم للمطالبة بسيادتنا وحققنا في تقرير شؤون حياتنا العامة بداية من التعليم . نحن في هذا المعركة نلتزم بالفكر النقدي وهو أفضل ما نخلفه للأجيال الحالية والمستقبلية، وعلى ذلك نحن نحیی تأسيس معهد البحوث الأمريكية اللاتينية (Instituto de Pesquisas Latinoamericanas) في جامعة ريسيف الفيدرالية والذي سيقدّم ولا شك إسهامات معتبرة في المحاورات الاجتماعية الإقليمية.

الحاضرون من بيننا يؤكدون التزامهم بمواصلة التشبث بالإيمان الذي زرعه زملاؤنا الذين أسسوا الجمعية عَنَيْتُ روي ماورو ماريني (Ruy Mauro Marini)، أكتافيو إيانني (Octavio Ianni)، فلورستان فرنديز (Florestán Fernandes)، أغوستين كويفا (Agustín Cueva)، روني زافاليتا (René Zavaleta)، إدواردو روبس كونتاردو (Eduardo Ruiz Contardo) لوسيا سالا (Lucía Sala). من بين كثيرين آخرين، نحیی ذكراهم، تماما كما نحیی ذكرى الآلاف من الأفراد الشجعان الذين هزموا الترهيب وواجهوا إبادة النساء والعنصرية والإبادة العرقية في أمريكا. يواجه شعبنا كل أنواع العسف التي تهدد جدارته بحياة ملؤها القوة والإبداع. إن دورنا هو المساهمة في ذلك بكل ما أوتينا من خيالنا ومن إرادتنا التي لا تلين في اكتساح ذلك الفضاء الذي حلم بها توسان لوفيرتور (Louverture)، وهيدالغو (Hidalgo) ومورييلوس (Morelos) وبوليفار (Bolívar) وأرتيغاس (Artigas) وأوهينغينز (O'Higgins) وسان مارتان (San Martín) وخوزي مارتني (José Martí) وبنيتو خواريز (Benito Juárez) وساندينو (Sandino) وفارابونديو مارتني (Farabundo Martí) وشي غيفارا (Che Guevara) وسلفادور أليندي (Salvador Allende). لتحيي الجمعية الأمريكية اللاتينية لعلم الاجتماع.

تم تبني التصريح الختامي الصادر عن الأستاذ إيثاغا في مؤتمر ريسيف للجمعية الأمريكية اللاتينية لعلم الاجتماع بإجماع الجلسة العامة.

الأخرى لنا أمثلة عن كيفية إعادة بناء شعبنا للبدائل التي أظهرت أن لنا الذاكرة والقدرة ضرورتين للانتصار على الصعوبات إذ فتحت البرازيل والأكوادور وبوليفيا وفينيزويلا والأوروغواي والباراغواي والأرجنتين وكوبا والبيرو مؤخرا بالطبع قوس أمل لدى شعبنا واعية بالمشاكل العويصة التي تلاحق مستقبل الملايين من الناس في منطقتنا الكبرى.

مريكا اللاتينية هي المنطقة الأكثر معيشة للمساواة في العالم. يختطف العنف حياة أكثر من 140 ألف إنسان كل سنة، ويعطّر الفقر على أكثر من ثلاثين بالمائة من الساكنة وأكثر من ثمانية بالمائة منها أميون. لم نفعل ما فيه الكفاية حتى نمنع جامعاتنا ومؤسسات التعليم العالي لدينا من الترسّخ في مواقع محظوظة في حين لا يقدر آلاف الأشخاص على تلبية احتياجات بقائهم على قيد الحياة. بل أكثر من ذلك، لم نقدر على منع جامعاتنا من التحول، إن بالتدريج أو دفعة واحدة إلى مراكز للتخصص والمهنية يَعتَرِبُ فيها الطلاب عن ثقافتهم المحيطة وعن حياتهم الاجتماعية والسياسية فضلا عن ظرف الهشاشة الاقتصادية الكبيرة.



Paulo Henriques Martins, elected President of the Latin American Sociological Association at the Recife Congress, September, 2011.

علم الاجتماع في زمن عاصف: رسالة موجهة إلى الجمعية الأوروبية لعلم الاجتماع

بقلم أناليا توريس (Anália Torres) الجامعة التقنية بلشبونة، رئيسة الجمعية الأوروبية لعلم الاجتماع
للفترة 2009-2011



Jennifer or the Rotation of the Flight Attendants
– a dramatic performance by Carré
Rouge Cie at the Congress of the European
Sociological Association in Geneva, September
9, 2011. Photo by Sandro Cattacin.

يبدو أن موضوع مؤتمر الجمعية الأوروبية لعلم الاجتماع الذي انعقد في جنيف في الفترة من 7 إلى 10 سبتمبر تحت عنوان *الصلوات الاجتماعية في عالم عاصف* أصاب الهدف إذ أنّ عَصَفَ الاضطراب بالعالم بات حقيقة من حقائق الحياة اليومية وعلى الخصوص منذ بداية سنة 2011.

نحن نواجه في أوروبا على المستوى الاقتصادي ما سوف أسميه حرباً مالية. كان لنا في القرن العشرين حربان عالميتان ماليتان مدمّرتان وتلك التي كانت باردة في حين نجد أنفسنا في القرن الواحد والعشرين في مواجهة حرب مالية واقتصادية. تبدو ضغوط الأسواق المالية ووكالات التصنيف مثل اجتياح عسكري ونحن نحسّ به على أنه كذلك ماساً بلداً على أثر آخر بادئاً بالطبع بالاقتصادات الأكثر هشاشة ومهاجماً اليورو. تسعى الهيمنة النيوليبرالية المَعُولمة إلى اجتياح كل المجالات بدءاً من السوق وصولاً إلى الجامعات مروراً بالدول مخصّصة إياها إلى منطقها.

الأخرى وتزدري بمُثل التفوق القومي. بل إن تلك المعايير السياسية والجهود كانت تتغذى لا من التقاليد القديمة، الدينية أو غيرها، بل من الدروس المستفادة من الحرب العالمية الثانية والهولوكوست. ولكن ومنذ تأسيس الاتحاد الأوروبي يبدو الاتجاه الغالب هو وصفة نزع القيود النيوليبرالية التي باتت القوة المتحكمة في المجلس الأوروبي. لم يعد تحالف المصالح والأفكار السياسية الذي ألهم مؤسسي الاتحاد الأوروبي وتصوره الاجتماعي هو السائد.

التيار الثالث هو الترابط بين المجتمع المدني والأجندات السياسية في أوروبا وعلى المستوى الدولي. نحن لا نذكر إلا الفعل المدني والسياسي ضد الاقتراعات والبطالة وضد العمل الهش وسياسات الهجرة السائدة وضد تدهور الكرة الأرضية. ولكن من الواضح أن تَقَاوُتًا في القُوَّة مَهُولًا حاصلٌ بين الفاعلين المدنيين والشركات متعددة الجنسيات. وليس من المفاجئ والحال هذه أن تغلب الاحتجاجات التي تتخذ شكل انفجارات غضب ضد اللامساواة الغاشمة على التحركات المنظمة ذات الأهداف الواضحة. إنها تذكرنا بفترة التصنيع المبكر والطوارئ ضد ما كان يعرف تحت اسم "الطَبَقَاتِ الْخَطِرَةِ".

كان لعلماء الاجتماع ولكل اختصاصي العلوم الاجتماعية دور مُسَاهِمٌ فَعَالٌ في السياسات العمومية وبناء النموذج الاجتماعي الأوروبي. ولكننا نحتاج إلى أكثر مما هو حاصل إلى حد الساعة. إنه لمن المتأكد علينا تجويد تحليلاتنا للأزمة الراهنة وتحديد خرائط مناطق جهلنا و، إذا ما اكتفينا بمثال واحد، فتح الصندوق الأسود لأسواق المال. من المتأكد نشر نتائج بحوثنا ومناقشتها على رؤوس الإشهاد منددين بالأثر السلبي للخيارات والوصفات النيوليبرالية. من المتأكد ربط جهودنا الأوروبية بتلك التي بذلها زملاؤنا في أرجاء العالم لتطوير تشخيص علم الاجتماع الكوني واستخدام استراتيجيات علم الاجتماع العمومي التي يتبعها مايكل بوروواي وآخرين في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع.

وفي الآن نفسه أدّى أثر الأزمة على المستوى الاجتماعي إلى ردود فعل مضادة واحتجاجات عنيفة، ويترآكب كل ذلك مع تضليل إيديولوجي كاذب إذ تصان المصالح الخاصة باستخدام المال العام فيما يُدَّانُ الإنفاق العام بِتَعَلُّةِ الأزمة.

كيف انتهى بنا الأمر إلى هذه الحال؟ تبدو الأزمة التي بها تَمُرُّ نتيجة منطقية لتيار متوقع منذ بداية السنوات 1980. وقد داوم علماء الاجتماع الأوروبيون على التأكيد على الأثر السلبي للتطورات السياسية والاقتصادية والمالية الرئيسية التي أدت بنا إلى ما نحن فيه. يمكن تحديد ثلاث اتجاهات متوازية لذلك تَتَعَاوَضُ تارة وتوازي تارة في تناقض وصراع.

التيار الأول هو المالي والاقتصادي، فقد اجتمعت كونية المال وَحَرَكَتِهِ الخارقة لِتُمْلِيَا السياسات على المناطق والدول-الأمم. في العشرين سنة الأخيرة جَرَّتْ قُوَّةُ الشَّرَكَاتِ متعدّدة الجنسيات معززة بقدرتها على النفاذ إلى خزانات جديدة للعمل بَخْسٍ الأجر إرهابًا أكبر على البلدان الأوروبية. وقد أدت تلك الضغوط إلى سبورات انشقاق وتآكل طوال كل السنوات 1990، وكانت في نفس الوقت حركية رأس المال المالي تفقد الحكومات كل إمكانية لرقابتها وتعديلها. وقد كان التراجع الاقتصادي وأزمة الدول الراحية من بين نتائج هذه السيروتات، ولم يكن من العسير على علماء الاجتماع أن يتنبأوا بأن الصّدمات ستقوم في ظل ظروف تهميش وحرمان اقتصادي. ذاك ما نشهده بالضبط: نزاعات جديدة، احتجاجات عفوية بل وانتفاضات عنيفة كذلك.

للتيار الثاني موقعه على المستوى الاقتصادي. وقد كان تأسيس الاتحاد الأوروبي بَعْدُ علامة على قوى التآكل المتناقضة التي أشرنا إليها أعلى هذا. يمثّل تأسيس الاتحاد الأوروبي جَهْدًا معتبرا لبناء منظومة من المعايير والمؤسسات التي تدافع عن حقوق الإنسان وتحارب (النزعات) القومية وكل اليات (يشير الكاتب إلى نهايات الكلمات التي تشير إلى الاتجاهات الفكرية والسياسية)

وداعا ديفوراه، أهلا محمد

تنتهي ديفوراه كاليكن (Devorah Kalekin) عهدها بوصفها محررة مؤسسة لـ "المجلة العالمية لمراجعة كتب عام الاجتماع (م د م ك ع ا ج) " (International Sociology Review of Books) وتسلمها إلى خليفتها محمد بامييه (Mohammed Bamyeh) في منتهى 2011. نحفي بإنجازاتها الهامة من خلال استجواب عبر البريد الإلكتروني أجرته معها جينييفر بلات (Jennifer Platt)، نائبة رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع المكلفة بالنشر.



Mohammed Bamyeh, the new editor of International Sociology Review of Books.

وداعا ديفوراه...

ج.ب: كيف انتهى بك الأمر إلى تطوير فكرة م د م ك ع ا ج؟
د.ك: أطلقت فكرة بعث مجلة تابعة للجمعية الدولية تابعة للجمعية الدولية سوزان ماك دانييل (Susan McDaniel) نائبة رئيس الجمعية المكلفة بالنشر التي سبقتني مباشرة. كانت قد استلهمت الاقتراح من علم الاجتماع المعاصر الصادرة عن الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع وهي واحدة من أكثر مجلات الجمعية الأمريكية شعبية. حينها كانت علم الاجتماع المعاصر تصدر أربع مرات في العام فحسب فيما كان نشر قسم مراجعة الكتب (الذي كنت أنت تحريره ج.ب) لتجهيز عددان آخرين في السنة لا يحدث إلا إذا وفرا معلومات لا يمكن الوصول إليها ببسر في غيرهما. كنت حينها عضوا في لجنة المنشورات وفور إبدائي اهتماما طلبت مني سوزان أن أكتب مشروعا.

وَكَبْتُ "ليس بعث مجلة تابعة للجمعية الدولية لعلم الاجتماع تُعنى بمراجعة المنشورات في الحقل إلا إقادة جديدا للخيال السوسيولوجي... وعلى الرغم من الشكوك التي تحوم حول الفوائد التي يمكن جنيها من تقدّم العولمة الاقتصادية فإن على علم الاجتماع بوصفه علما أن يكون "كونيا". لقد أصبح تفسير الكيفية التي بها تكون السيورة الاجتماعية في ظل شروطها السياسية والاقتصادية والتاريخية شديدة الاختلاف قضية نظرية وعملية حارقة إلى أقصى حد في عالم باتت فيه الحركة الحرة التي تتوفر للناس والخيارات والتقنيات حقيقة مبتذلة شائعة. ستكون المجلة المقترحة تقديرا ضميا للواقع الحادث اليوم والذي بمقتضاه تثرى الاختصاصات بفضل بصيرة الزملاء الذين تكون خبرتهم المهنية منحوتة على أساس تجارب لافتة مع المجتمع. سنقدّم المجلة خدمة أساسية بتوفيرها قاعدة تجميع وطلب وتصرف إن لم يكن إدخال نسقية على مناظير علمية اجتماعية متنوعة لا تكون في العادة في المتناول".

بدأ التخطيط عند اختيار التسمية. كنت أمل أن تكون عَنَوَتَهَا قراءات كتب مُكسِبَةً لها الثقل المناسب. كان لما ورد علينا من مقالات مراجعة واستجابات وعناوين لأقسام مراجعة الكتب

التي كانت تتغير من عدد إلى عدد بعض من صلة مع ما كنت أشدّ الحرص عليه من المزج بين لمسة من التنوّع وإطار صارم مناسب للاختصاص. لقد كان مفاد فهمي لمهمة المحرر هي أن يضمن إشارة مراجعات المنشورات، بالقدر المستطاع، إلى أماكن من خارج العالم الأنكلوسكسوني وأن تشمل ما يتم نشره بلغات غير اللغة الإنكليزية. كنا ننظر إلى مقالات المراجعة على أنها فرص نتاج لنا لإجمال الاتجاهات الهامة في علم الاجتماع من وجهات نظر مختلفة. كانت خطتي تقتضي أن نحصل على ثلاث مقالات في كل عدد؛ واحدة تُخصّص لعمل كلاسيكي، وواحدة للمنشورات في المنهج وواحدة في أحد فروع علم الاجتماع. وكنت أبتهج لعنثوري على تعلق لإدماج الاستجابات لأنني أحب قراءتها. وعلى أساس اعتياري أن من يقرأ في علم الاجتماع ربما رغب في معرفة الكيفية التي بها تنتهي الأعمال إلى أن تكتسب صيغتها المكتوبة أدرجت قسم "كلمات من أفواه الكتاب". وكان واحد آخر من قرارات التحرير السماح بنشر مراجعة ضليعة نسبيا تعادل الألف وخمسمائة كلمة مع إشارات إلى منشورات مهمة قد لا يمكّننا الزمن المتاح من مراجعتها مراجعة شاملة بحيث تنشر في عدد خاص.

ذلك التصاعد. وبصرف النظر عن ذلك علّق الزملاء تعليقات إيجابية ويمكن لي أن أفترض أنهم صادقون.

ج.ب: ما كانت أبرز المشاكل التي اعترضتك؟

د.ك: في سياق تبادل مراسلات إلكترونية مع آلان سیکا (Alan Sica) محرر علم الاجتماع / المعاصر كتب لي قائلا إن كل الناس يحبون قراءة مراجعات الكتب ولكن لا أحد يرغب في كتابتها. وكما أمل أن يكون النصف الأول من جملته منطبقا على مجلّتنا، فإن النصف الثاني منطبق من دون شك. إن المشكل الذي يؤرق محرّر نشرة مراجعة للكتب هي طلب المساهمات. تتراكم الكتب باطراد على المكتب ويرافقها تدفق أكثر قوة منها لإشعارات الكتب الموشكة على الصدور. جزء العمل الأكثر إمتاعا هو مراجعة قوائم الكتب والنشرات الوصفية بغية اختيار أيها أكثر مناسبة لما نروم القيام به، عندها يكون علينا أن نجد مُراجعين. ليس من العسير في منظمة مثل الجمعية الدولية لعلم الاجتماع التي تعد ما يقارب 80 مجموعة بحث أن تعثر على أسماء تتسم بأروها التقويمية بالجدارية. ولكن إقناع الخبراء أن من فائدتهم لا قراءة عمل حديث الصدور فحسب بل مقاسمة استنتاجاتهم عنه مع زملائهم في عمل مكتوب مسألة أخرى. بديهي أن المشكل يجد طريقه إلى الحل ولكن ذلك مزعج.

يتعلق مشكل آخر اعترضني بالمحتوى وهو ما لم يُحلّ بما كنت أراضاه. كانت خطتي تقضي بأن أدرج بانتظام مواد بصرية ذات دلالة سوسولوجية. صحيح أن نطاق هذه المواد وكميتها يتصاعدان باستمرار ولكن لم أتمكن طوال سنوات رئاستي للتحريير من أن أطلب إلا ما لا يتجاوز عده أصابع اليد الواحدة من المقالات حول أشرطة وثائقية وتسجيلات فيديو للقاءات مع علماء اجتماع مهمّين.

ج.ب: هل من رسالة خاصة لخليفتك؟

د.ك: بصرف النظر عن أن السنوات التي انقضت منذ أن انطلقت م د م ك ع أج كانت بالنسبة إليّ مغامرة وتجربة فائنة تعلمت منها الكثير، فإنني لن أجزأ على تقديم نصح. أشعر بشرف خلافتي على رأس التحريير من قِبَل أستاذ جليل وأتمنى أن يتوفّق محمد بامية في دفع م د م ك ع أج إلى ما يحقق كل معاني الكلمة.

أهلا محمد

محمد بامية، رئيس تحرير م د م ك ع أج أستاذ علم الاجتماع فلسطيني في جامعة بيتسبرغ في الولايات المتحدة الأمريكية. كوّس الكثير من مساره لإلقاء الدروس والبحث في الدراسات الإسلامية، وفي الأزمة السياسية والثقافية والمجتمع المدني وفي الحركات الاجتماعية والنظرية الاجتماعية والسياسية المقارنة. يمكن الاطلاع على معلومات أكثر حوله على موقعه الإلكتروني: www.sociology.pitt.edu/faculty/index.php?q=mohammed-bamveh/view.

وهو يأمل في المواصلة على خطى ديفوراه كاليكن والمساهمة في تعزيز ما تمكّنت المجلة من رسمه من ملمح متفرد. يدعو محمد المراجعين المحتملين الراغبين في التوجّه إلى أبعاد غير معروفة ولكنها وأعدة في البحث العلمي الاجتماعي من مختلف التقاليد في العالم وهو يؤكّد بشكل خاص على المواد غير المتوفرة باللغة الإنكليزية أو التي تلاقى صعوبات في تلقيها دوليا. للتراسل اتصلوا على العنوان: mab205@pitt.edu

ج. ب: هلا أجملت لنا حصيلة أرشيف م د م ك ع أج؟

د. ك: على الرغم من طموح تخطيطاتنا إلى ما يتجاوز ما تمكّننا من إنجازه إلى حد الآن، فإن أهم مساهمات م د م ك ع أج تتمثل حسب رأيي في كونها حسّست القراء حيال الاتساع الهائل الذي عليه مواضيع الاختصاص وأثبتت صلوحية المقاربات التي تميّز علم الاجتماع في أنحاء العالم. وقد وفرت المجلة كذلك أرضية لمختلف أجيال علماء الاجتماع حيث كانت الكتب المراجعة تشمل ما كتبه علماء اجتماع شبان مثلهم مثل القدماء الذين صاغوا كتباً كلاسيكية معاصرة.

أنا فرحة إلى حد بعيد إذ أن مقالات المراجعين والكتاب تأتي من كل القارات ومن كل المستويات الأكاديمية في الواقع. وقد ساهمت المجلة إلى حد ما في كسر حاجز اللغة فقد كانت هناك مراجعات لكتب مكتوبة بلغات عديدة عدى الإنكليزية ومع مرور الزمن صرت قادرة على قبول مراجعات بها.

ج.ب: ما الذي تَرَيْتُهُ من ميزات مُلَفِّتَةٍ؟

د. ك: كثيرة هي حسب رأيي. أضع على رأسها امتناني لكل من ساهموا في المجلة وجعلوا ممكنا تأييد كل عدد بمجموعة ثرية من ثمرات التفكير السوسولوجي. الاستجابات ميزة أخرى وإن كنت بسبب ضيق المساحة اضطررت إلى وضع أسئلة أكثر شكلية. ولكن كل واحد من علماء الاجتماع الذين استمعت بمحاورتهم فتح آفاقا للاختصاص لا تستنتج بالضرورة مما يقرأ من أعماله. كثيرا ما كانت حماسهم ونظرتهم إلى العالم تلقي أضواء كاشفة مفاجئة على منشوراتهم. وعليّ أن أقول أيضا أنه كان من المهم على ما أعتقد أن تنشر المجلة مراجعات لكتب في حقول فرعية جديدة نسبيا ولكنها أفسحت المجال لأعمال أكثر قِدَمًا مثيرة للاهتمام.

ج.ب: كيف كانت المجلة تُتَلَقَّى؟

د.ك: في مثل مناخات المسؤولية هذه يتوجب على إجابة مهنية أن تحدد عاملَ أثر حاسمًا. لحسن الحظ أو لسوءه، وذلك يعتمد على وجهة النظر التي نتبنى، لا يؤخذ عمل الأثر الحاسم بنظر الاعتبار بالنسبة إلى المراجعات. كان أغلبها تحت طلب وكلما كان ذلك ضروريا كانت المراجعات تراجع على الغالب من قِبَل مستشار التحرير وكان التحكيم، فيما عدا ما يهم مقالات المراجعة قليل الشأن. وعليه يمكن أن نقوّم بالاستناد إلى علم الاجتماع الدولي. حسب ما تورده إحصاءات SAGE ارتفع عامل الأثر الحاسم لديها باطراد خلال الخمس أو الست سنوات الأخيرة. ويمكن للمرء أن يأمل أن يكون لم د م ك ع أج بعض دور وإن كان خافتا في